أ. د. فهد بن عبدالرحمن الرومي

سيرة ومسيرة

مقالات وبحوث مهداة إليه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمـة

الحمد لله الشكور الحليم، الغفور الرحيم، والصلاة والسلام على خير الشاكرين وأفضل الذاكرين، القائل: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)، وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار، ومن سار على دربهم واقتفى أثرهم إلى دار القرار، أما بعد:

فقد دأب المشتغلون بالبحث في شتى التخصصات على إقرار أعراف أكاديمية تكون في مجتمعات الباحثين (تذكاراً) لمن برَّ من الأقران، وتميز بغزارة العطاء، ومن أمثل تلك الأعراف ما شاع في الأوساط الأكاديمية من اتخاذ (الكتاب التذكاري) لتخليد أسماء الأعلام؛ لتكون منارات للأجيال، في تواصل العمل البحثي والجهد التدريسي، حتى بعد سن التقاعد.

والأستاذ الدكتور: فهد بن عبد الرحمن الرومي أحد أعلام التخصص القرآني في هذا العصر، بجهوده البحثية، ومؤلفاته العلمية، وخبراته التدريسية، وتتويجاً لمسيرةٍ علميةٍ حافلةٍ، وأعوامٍ سمانٍ بين تدريس وتعليم وتأليف وعطاء، ورغبة في إبراز تلك الخبرات، وتكريم ذلك الجهد، وفي بادرة وفاء، أقام كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود ندوة بعنوان: أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي سيرة ومسيرة بتاريخ ١٨/ ١/ ١٤٤١هـ، وقد احتوت جملة من البحوث القيمة والإهداءات المتميزة، وهي على قسمين:

القسم الأول: السيرة والمسيرة.

القسم الثاني: أبحاث مميزة مهداة للأستاذ الدكتور.

وفي هذا الإصدار التذكاري، جُمعت الكتابات والإهداءات البحثية؛ لتكون موئلاً للباحثين، ومرجعاً للمتخصصين، فبارك الله في الشخصية المُكَرَّمة عمره وعمله، وشكر الله للباحثين جهدهم، وتقبل أعمالهم، والشكر موصول لعمادة البحث العلمي بالجامعة ممثلة في وكالة الكراسي البحثية في دعم الندوة وإخراج هذا الإصدار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المشرف على كرسي القرآن الكريم وعلومه

د. 

القسم الأول

السيرة والمسيرة

سيرة مختصرة

للأستاذ الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي

الاسم: فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي.

الجنسية: سعودي

الرتبة العلمية: أستاذ

تاريخ بداية التدريس الجامعي: ١٤٠١

المؤهلات العلمية

- الدكتوراه، التخصص: علوم القرآن الكريم، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية ، ١٤٠٥هـ .
- الماجستير، التخصص: علوم القرآن الكريم، منهج المدرسة العقلية في التفسير، الرابع عشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية ، ١٤٠٠هـ.
- البكالوريوس، التخصص: علوم القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية ، ١٣٩٣هـ.

خبرات المناصب العلمية والإدارية

- محاضر، كلية المعلمين بالرياض، ١٤٠١هـ.
- أستاذ مساعد، كلية المعلمين بالرياض١٤٠٥-١٤١١هـ.
- أستاذ مشارك، كلية المعلمين بالرياض، ١٤١١ - ١٤١٥هـ.
- أستاذ، كلية المعلمين بالرياض، ١٤١٥هـ.

الإنتاج العلمي والمؤلفات :

(أ) الكتب:

١- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (في مجلدين).

٢- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (ثلاثة مجلدات).

٣- خصائص القرآن الكريم.

٤- الصلاة في القرآن الكريم .

٥- قصة عقيدة.

٦- دراسات في علوم القرآن الكريم.

٧- بحوث في أصول التفسير ومناهجه.

٨- طرق تدريس التجويد وأحكام تعلمه وتعليمه، بالاشتراك مع د.محمد الزعبلاوي.

٩- الموسوعة الإسلامية الميسرة (في عشرة مجلدات) ، مجموعة من الباحثين .

(ب) البحوث:

١- البدهيات في القرآن الكريم.

٢- البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم.

٣- التفسير الفقهي في القيروان .

٤- وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف الهجائية المقطعة.

٥- مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها.

٦- قول الصحابي في التفسير الأندلسي.

٧- تطبيق الحدود الشرعية وأثره على الأمن.

٨- تحريف المصطلحات القرآنية في القرن الرابع عشر.

٩- نقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى أترجمة أم تفسير ؟
١٠- جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين .
١١- الأمن النفسي في القرآن الكريم .
١٢- الإستدلال بالظواهر الكونية في الحوار القرآني طرقه وضوابطه وأغراضه.
١٣- القوامة في القرآن الكريم حق من حقوق المرأة.
١٤- ضوابط البحث في الإعجاز العلمي.
١٥- تحريف معاني النصوص القرآنية في المدرسة الحداثية.
١٦- الصفة الكاشفة في القرآن الكريم .
١٧- أثر القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها.
١٨- منهج المدرسة الأندلسية في التفسير.
١٩- تفسير الفاتحة لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
٢٠- تفسير الفاتحة (مختصر) للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
٢١- تفسير سورة الفلق للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
٢٢- تفسير سورة الناس للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
٢٣- فضائل القرآن الكريم للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
٢٤- قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

أشرف على رسائل كثيرة، منها ما يأتي:

١- الاصطفاء في القران الكريم.
٢- الانفعالات النفسية في القران الكريم.
٣- الأرض في القران الكريم.

٤- تفسير الخازن لباب التأويل من أول سورة الصف إلى آخر سورة المزمل.
٥- تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الكفار في ضوء الكتاب والسنة.
٦- التبيان في تفسير القران : لخضر الأزدي ت ٧٧٣ من أول القران إلى آخر سورة آل عمران.
٧- التبيان في تفسير القران : لخضر الأزدي ت ٧٧٣ من أول سورة التوبة إلى آخر سورة مريم.
٨- التبيان في تفسير القران : لخضر الأزدي ت ٧٧٣ أول سورة طه إلى آخر سورة سبأ.
٩- ينبوع الحياة لإبن ظفر الصقلي سورة الأعراف.
١٠- ينبوع الحياة لإبن ظفر الصقلي سورة الأنفال والتوبة.
١١- أحكام القران لإبن الفرس من أول سورة يونس إلى آخر سورة المؤمنون.
١٢- درج الدرر تأليف عبد القاهر الجرجاني من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة إبراهيم.
١٣- درج الدرر تأليف عبد القاهر الجرجاني من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة.
١٤- درج الدرر تأليف عبد القاهر الجرجاني من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الأعراف.
١٥- الدخيل في تفسير فتح القدير سورة الأعراف.
١٦- الدخيل في تفسير فتح القدير سورة الأنعام.
١٧- المنهج النقدي في تفسير ابن كثير.
١٨- ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره في اللغة التاميلية للشيخ زين العابدين دراسة نقدية.

المشاركة في المؤتمرات منها:

١- التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري، القيروان مركز علمي مالكي، القيروان – تونس، مركز الدراسات الإسلامية، ١٤١١هـ.

٢- مسألة خلق القران وموقف علماء القيروان منها، الحديث والمحدثون في القيروان، القيروان - تونس، مركز الدراسات الإسلامية،١٤١٣هـ.

٣- قول الصحابي في التفسير الأندلسي حتى القرن السادس، الدراسات الحديثية في الغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن السادس الهجري، كلية الآداب تطوان المغرب، كلية الآداب تطوان المغرب، جامعة عبد المالك السعدي، ٢٣-٢٥/ ٨/ ١٤٢٠، ١- ٣ ديسمبر ١٩٩٩م.

٤- منهج المدرسة الأندلسية في التفسير صفاته وخصائصه، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، الرياض - مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٥–١٩/ ٥/ ١٤١٤هـ.

٥- جمع القران الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، جهود المملكة في خدمة القران الكريم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٠هـ.

٦- نقل معاني القران إلى لغة أخرى ترجمة أم تفسير، ترجمة القران الكريم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٧هـ.

٧- تحريف المصطلحات القرآنية في القرن الرابع عشر، مؤتمر الجهود المبذولة لخدمة القران الكريم من بداية القرن الرابع عشر إلى اليوم، الشارقة، جامعة الشارقة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٣-٢٤/ ٢/ ١٤٢٤هـ، ٢٣-٢٤/ ٤/ ٢٠٠٣م.

٨- الإستدلال بالظواهر الكونية في الحوار القرآني، الحوار مع الآخر في الفكر

الإسلامي، الشارقة، جامعة الشارقة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

٩- الوسائل والطرق التعليمية في تدريس التجويد، القران الكريم ومناهج دراسته، فاس المغرب، كلية الآداب ظهر المهراز – فاس – جامعة سيدي محمد بن عبدالله، ٢١-٢٣ / ٤ / ١٤٢٨، ٨ – ١٠ / ٥ / ٢٠٠٧.

١٠- الأمن النفسي في القران الكريم، الملتقى العلمي الرابع لحفاظ القران الكريم (حفاظ القران الكريم أمان لمجتمعاتنا)، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٥-١٨/ ١١/ ١٤٢٨ ، ٢٥ -٢٨/ ١١/ ٢٠٠٧.

١١- القوامة في القران حق من حقوق المرأة، المؤتمر الدولي أحكام الأسرة بين الشريعة والإتفاقات والإعلان الدولي، طنطا – مصر، رابطة الجامعات الإسلامية – وكلية الشريعة والقانون – طنطا، ٧- ٩ / ١٠/ ١٤٢٩، ٧- ٩ / ١٠ / ٢٠٠٨.

العضويات العلمية والمهنية

١- عضو الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم وعلومه (تبيان)، ١٤٢٤هـ ولايزال.

٢- عضو هيئة تحرير مجلة كليات المعلمين - الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣- عضو هيئة تحرير مجلة المعرفة – تطوان المغرب، ١٤٢٩هـ.

٤- عضو المجلس العلمي في كليات المعلمين، ١٤٢٠- ١٤٢٨ هـ.

٥- عضو المجلس العلمي في الهيئة العالمية لتحفيظ القران – رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٦هـ - ولا يزال.

٦- عضو مجلس قسم الدراسات القرآنية، ١٤٠٢هـ - ولا يزال.

٧- عضو مجلس كلية المعلمين، ١٤٢٠ – ١٤٢٨هـ.

٨- عضو هيئة تحرير مجلة الدراسات القرآنية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤ هـ ولا يزال.

٩- عضو لجنة وضع مناهج كليات المعلمين، ١٤٠٧- ١٤٠٨هـ.

١٠- رئيس لجنة اختيار الكتب لمكتبات كليات المعلمين، ١٤١٦ - ١٤١٧هـ.

١١- رئيس هيئة تحرير مجلة كليات المعلمين الدراسات الإنسانية، ١٤٢٧ - ١٤٢٨هـ.

١٢- عضو لجنة منسقي الجودة في كلية المعلمين، ١٤٣٠هـ.

١٣- عضو لجنة الترقيات في المجلس العلمي لكليات المعلمين، ١٤٢٠ - ١٤٢٨هـ.

١٤- عضو لجنة البحث والتفرغ العلمي في المجلس العلمي لكليات المعلمين، ١٤٢٠ - ١٤٢٨ هـ.

١٥- عضو مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم (تبيان)، ١٤٣٠هـ.

الدكتور فهد الرومي
الشخصية المتميزة

إعداد

أ. د / محمد عبد الرحمن الشايع

الأستاذ بقسم القرآن الكريم وعلومه
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور فهد الرومي - وفقه الله - في تقديري ظاهرة فريدة، و شخصية متميزة، جديرة بالرصد والتحليل لإبرازها نموذجا فذا يستفاد منها، ويحتذى بها في جوانب كثيرة من شخصيته وسيرته .

وسوف أطوي الحديث عن العناصر الرئيسة والرسمية المعتادة المتعلقة بالحديث عن الشخصية من الاسم والمولد والنشأة والدراسة والحياة العملية، والمؤلفات العلمية نظرا لأنها معروفة وموفورة وربما مكررة وأتحدث عن جوانب أخرى في شخصية الدكتور فهد:

فمن صفاته الذاتية المعروفة عنه والتي يتفرد ببعضها:

١- طلاقة وجهه، وسماحة خلقه، ولطف معشره فمن السهل التعرف عليه والتواصل معه.

٢- استغلاله لشبابه وفتوته في البحث والدرس والتأليف وعدم تأخير ذلك لشيخوخته وكبره كما يفعل الكثير . ولذلك أذكر أنه ذكر مرة أنه تعرف على أحد المشايخ وتواصل معه دون لقاء. وحين قدم ذلك الشيخ للسعودية، وكان على موعد لقاء مع الدكتور فهد وكان ذلك بعد انتشار مؤلفاته، وظهور صيته فلما رآه أنكره وتفاجأ بمرآه حيث رسم الشيخ في ذهنه للدكتور فهد صورة ذهنية لرجل شهير كثير المؤلفات فظنه رجل قد كبر سنه، وضعف بصره، وثقل خطوه، فإذا هو بشاب يتدفق حيوية ونشاطا فما تمالك الا ان عبر له عن ما ظنه وما رآه وليس راء كمن سمع.

٣- امتيازه باستغلال وقته في الحل والترحال، في السفر والإقامة فلا تجده في الأسفار الخارجية أو الرحلات الداخلية الا وبيده رسالة للمناقشة أو بحثا للترقية وهذا

ليس كثيرا بل دائما ففي الرحلات الداخلية، أو النزهات البرية التي يحبها، ويكثر منها، وهي من هواياته المفضلة حيث جمال السماء، وفساحة الفضاء، وجمال الربيع، وذهبية الرمال وأنس الصحاب في هذه الأجواء تجده كثيرا في خلوة في سيارته، أو خيمته منهمكا في قراءته في تلك الرسائل والبحوث وكثيرا ما أشفق عليه رفاق الرحلة في ذلك الأنهماك وربما عاتبه أحدهم. أو بعضهم

٤- ومن ميزاته أنه ينجز أعماله، ولا يؤخر منها شيئا خاصة مايتعلق بمصالح الآخرين من أساتذة ينتظرون الترقية، أو طلاب ماجستير أو دكتوراه ينتظرون المناقشة، أو طلابا ينتظرون النتيجة. وهذا أمر يدرك أهميته وقيمته من مروا بالمعاناة، وذاقوا مرارة التعطيل والتأخير.

٥- جمع الدكتور للمعادلة الصعبة جدا التي قل من يستطيعها فأنت تجده مشغولا لاوقت عنده، وفارغ الوقت لا جد وشغل عنده، ومسافرا لا إقامة له، ومقيما لاسفر عنده. ثم هو محب للسفر كثيرا، قوي العزيمة عليه، لا يثقله ولا يعجزه، وهذه نعمة امتن الله بها على قريش حيث جعلهم يألفون رحلة الشتاء والصيف أما صاحبنا فيألف رحلة الجمعة والخميس وكثيرا ما حط من رحلة جوية إلى السيارة في رحلة برية.

٦- **فهد والكتاب**: تلك قصة أخرى حيث شغف الدكتور فهد بالكتاب مبكرا شغفا عظيما دعاه ذلك إلى متابعة معارض الكتاب في العالم العربي كله وبخاصة معرض القاهرة الدولي للكتاب، ومعرض الشارقة والدار البيضاء ومعارض الكتاب في المملكة فكان لا يكاد يفوته شيء منها متابعة وحضورا واقتناءً ولذلك بنى لنفسه ولمحبي العلم مكتبة تخصصية متميزة زاخرة بكتب التخصص النادرة بما في ذلك المخطوطات ولكل مخطوط عنده قصة، ولتجليد كل كتاب حكاية

وقد أتاح كنوز للباحثين للباحثين إطلاعا وإعارة وله مع إعارة الكتب قصص تحكى. ومواقف تروى

٧- **فهد والدراسات العليا:** أتصور محقا أن للدكتور فهد دورا مميزا في الدراسات العليا في تخصص الدراسات القرآنية تدريسا وتأليفا وإشرافا ومناقشة لعموم الطلاب والطالبات وله جهد أكبر في حضور المرأة المتميز في المجال الدراسي والبحث العلمي فكثير جدا من طالبات الدراسات العليا في مختلف جامعات المملكة بل وخارجها للدكتور فهد دور مميز في ما وصلن إليه، وحصلن عليه حيث يسهم كثيرا في أفكار الرسائل العلمية لمرحلتي الماجستير والدكتوراه، ويساعد ويوجه في صياغة المخططات العلمية للأفكار البحثية، ويجيب على الأسئلة والإشكالات التي تعرض للباحثين والباحثات وما أكثرها وذلك في كل وقت فضلا عن الأشراف المميز على رسائل كثير من الطلاب و الطالبات لمرحلتي الماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات، زد على ذلك المناقشة لكثير من الرسائل العلمية لمرحلتي الماجستير والدكتوراه في مختلف الجامعات داخل المملكة وخارجها كل ذلك للطلاب والطالبات جميعا. وذلك بسبب قدرته العلمية، وإنجازه السريع، وشخصيته السمحة، وأسلوبه السهل، وقدرته المميزة في الحديث الشيق الجاذب. وأظن – وبعض الظن حق - أن ما اشرف عليه وناقشه من الرسائل العلمية في مختلف الجامعات داخل المملكة وخارجها تعد بالمئات . وذلك جهد مميز لا يلحق فضلا أن يسبق.

٨- **الدكتور فهد والتأليف:** باكرا ظهرت مؤلفات الدكتور فهد المتميزة موضوعا وأسلوبا فكان لكتاب المدرسة العقلية في التفسير ظهورا مبكرا و صدى كبيرا، وأثرا جميلا، ثم لكتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ن

أثرا أعظم، ونفعا أعم. وجاء كتابه دراسات في علوم القرآن يسد فراغا في مجاله تلقفته الكليات والمعاهد والجامعات داخليا وخارجيا لتريسه لطلابها فكان له ما كان من نفع لا يحصر وغيرها مما يطول ذكره. فبارك الله في جهده، ونفع بعلمه.

وهذا غيض من فيض وقليل من كثير مما يقال عن الدكتور فهد الرومي حفظه الله وأمده بالصحة والعافية والراحة وهذه عناوين لموضوعات تفتقر للبسط وحسن العرض ولكن هذا جهد المقل.

أ. د / محمد عبد الرحمن الشايع
الأستاذ بقسم القرآن الكريم وعلومه
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٥/١٢/ ١٤٤٠هـ

الأستاذ الدكتور فهد الرومي
كما عرفته منذ واحد وثلاثين سنة

إعداد

د. عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس

جامعة ابن زهر، المغرب

الأستاذ الدكتور فهد الرومي
كما عرفته منذ واحد وثلاثين سنة

قدر اللـه سبحانه أن أزور مكة شرفها الله في أول حجة لي عام ١٤٠٨هـ، وبحكم أنني كنت آنذاك حديث عهد بالحصول على الماجستير من جامعة محمد الخامس بالرباط فقد خصصت وقتا خلال فترات الصباح أطوف فيه على مكتبات كانت سابقا أسفل بعض العمارات المحيطة بالمسجد الحرام قبل إزالتها وتوسعته فيها، ولا زلت - بعد ثلاثة عقود - أتذكر كيف كنت أدلف إليها، فقد كانت بخلاف مكتبات المغرب مفروشة الأرضية تلزم زائرها بترك نعله خارجها كما يفعل حين يلج أحد بوابات الحرم في ذلك الوقت، وخلال شهر جاورت فيه المسجد جمعت رصيدا من الكتب كانت ضمنها أطروحة دكتوراه نشرت عام ١٤٠٦هـ في أجزاء ثلاثة موضوعها "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر".

عقب الرجوع من رحلة الحج كان ما اكتنزته من الكتب جليسا شغل أياما عديدة من عمري، وبينما أنا أقلب الأطروحة السالفة وجدت العنوان البريدي العادي لمؤلفها مطبوعا في أولها، ولم يكن أمثالي من الباحثين في سلك الدكتوراه وقتها يتوفرون على وسائط الاتصال السريعة والسهلة التي انتشرت فيما بعد، كما لم يكونوا يتحركون خارج أوطانهم بانسياب كما هو الحال اليوم، لذلك وجدت نفسي بعد قراءة الأطروحة في حاجة للاتصال بصاحبها الدكتور فهد الرومي الذي لم يسبق لي أن رأيته أو سمعت كلامه مستزيدا منه، وكانت وسيلة ذلك هي الرسائل الخطية التي تصل وجهتها بعد ثلاثة أسابيع أو أكثر ويأتي الرد عليها بعد نفس المدة. ولا زلت أحتفظ في مكان أمين بتلك المراسلات التي تذكرني بأيام خوالي كانت فيها الفوائد العلمية من ألذ المتع التي يمكن اقتناصها.

بسم الله الرحمن الرحيم

FAHAD A. AL-ROUMI
Riyadh - Saudi - Arabia
P. O. Box 15176
Tel. (   )

فهد بن عبد الرحمن الرومي
المملكة العربية السعودية
الرياض- ص.ب ١٥١٧٦
☎ (   )

Date التاريخ ٢٠ / ٣ / ١٤٠٩هـ

الأستاذ الفاضل عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

استلمت رسالتكم الكريمة المؤرخة ٢ أكتوبر ١٩٨٨ وقد استفسرتم عن أحد مراجعي في كتابي "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" وهو كتاب التفسير العلمي للقرآن الكريم

ومنذ استلمت رسالتكم وأنا أحاول الاتصال بالمؤلف فهو من اليمن الشمالية ويقيم حالياً بالرياض وقد تلفنت أحد أقاربه كثيراً ولم ألق أي جواب وعلى كل حال سأحاول الاتصال به مرة أخرى.

أما الكلية التي نوقشت فيها الرسالة فهي "كلية أصول الدين" بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ومن ناحية الكلية فلا أعتقد أنك ستستفيد في طلبك لأن نظام الجامعات في كل مكان يمنع تصوير الرسائل الجامعية حتى تنشر

وقد كنت أود أن أعرف موضوع وعنوان الرسالة أعني رسالتكم لعلي أذكر لكم بعض المؤلفات عندنا في المشرق العربي وعلى كل هناك فيما أذكر كتاب عن التفسير العلمي بعنوان "التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق" للدكتورة هند شلبي أستاذة مساعدة في الجامعة الزيتونية كلية أصول الدين بتونس وهو كتاب جيد في موضوعه وهناك كتاب خلق الإنسان بين العلم والقرآن للدكتور حسن حامد عطية وهو كتاب يشتمل على آراء يحسن الرد عليها والإشارة إلى أنها من النماذج الخاطئة في التفسير العلمي .. هذه إشارة سريعة وإن بدا لكم استفسار ~~آخر~~ فأنا مستعد لخدمتكم ولكم خالص الشكر والتقدير

أخوكم

د/ فهد بن عبدالرحمن الرومي

ص.ب ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤

أول رسالة جوابية من الدكتور فهد الرومي بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٠٩هـ

كانت رسائل البريد العادي بيني وبين الدكتور فهد الرومي مسترسلة مع أن أيا منا لم يلق صاحبه قبل ١٤١٨هـ فيما أذكر، أما موضوعاتها فلم تخرج عن جديد الإصدارات في الدراسات القرآنية ثم الأبحاث التي كان كل واحد منا منشغلا بها، وأذكر منها على سبيل المثال موضوع "*التدوين المبكر للتفسير منتصف القرن الأول للهجرة* "الذي لم تحرر الدراسات المعاصرة القول فيه أو تجمع مواده من كتب الآثار، فكانت بيني وبين الدكتور فهد مناقشات حوله، ولما أنهيت جمع مادته حررت الكلام عنه في بحث نشرته مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت العدد ٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

FAHAD A. AL-ROUMI
Riyadh - Saudi - Arabia
P. O. Box 15176
Tel. ( )

فهد بن عبد الرحمن الرومي
المملكة العربية السعودية
الرياض- ص.ب ١٥١٧٦
☎ ( )

Date ١٤١٢/٨/٢٧ التاريخ

الأخ الفاضل عبدالرزاق هرماس حفظه الله تعالى

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد استلمت رسالتكم الكريمة المؤرخة بـ ١٩ جمادى الثانية ١٤١٢ ثم استلمت رسالتكم الكريمة الثانية ومعها مصور الفهرس الوصفي فجزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم

واعتذر عن تأخري في الرد على رسالتكم الأولى بسبب سفري بعد استلامها لحضور معرض القاهرة الدولي للكتاب وسافرت من بعده إلى قريتي للزيارة وها أنذا أكتب إليك من الزلفي رسالتي هذه وسأعود هذا اليوم إن شاء الله إلى الرياض.

أخي الفاضل

الحديث عن تدوين التفسير -كما ذكرت- يحتاج إلى دراسة وبحث وإلى أن يسهم فيه الدارسون وقد تناولته في كتابي أصول التفسير ومناهجه من حيث أنه كتاب تعليمي مبسط يعرض العموميات وينأى شيئاً ما عن التفاصيل والمباحث الدقيقة. وكنت قد تناولت تدوين التفسير نحواً من هذا -أعني عدم التفصيل- في التمهيد لكتاب منهج المدرسة العقلية الحديثة وأشرت إشارات سريعة لبعض أوائل من دونوه.

أما تفسير مجاهد الذي تفضلتم بالإشارة إليه فقد طبع كما ذكرتم في مجمع البحوث الإسلامية في باكستان وطبع بعد ذلك محققاً مع دراسة لمجاهد رحمه الله تعالى كمفسر وذلك في عدد من الرسائل الجامعية والبحوث الخاصة.

أخي الفاضل

اشتغل الآن في بحثين هما الأول: (المسلمات والبدهيات في القرآن الكريم) والثاني (خصائص المدرسة الأندلسية في التفسير) آمل تفضلكم بتزويدي بما لديكم من معلومات عن هذين الموضوعين والله يحفظكم ويرعاكم

أخوكم فهد بن عبدالرحمن الرومي ص ب ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤ السعودية

أخي يسرني تهنئتكم بحلول شهر رمضان المبارك تقبل الله منا ومنكم صيامه وقيامه

احدى رسائل الدكتور فهد حول "التدوين المبكر للتفسير"

مؤرخة في ٢٧ شعبان ١٤١٢ هـ

كما شغلت بعده بمنهج حفاظ السنة النبوية في تخريج كتب التفسير، وكان الدكتور فهد عونا لي في الحصول على ما لم تصله يدي مما نشر في السعودية، ويسر الله إتمام دراسة عن "*التأليف في التفسير عند المحدثين*" نشرتها مجلة جامعة الامام في العدد ٢٦.

ومما أذكره أيضا عن علاقتي بالدكتور فهد أنه أهداني – كعادته – القطع التي حققها من تفسير الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ففكرت في كتابة دراسة منهج التفسير العقدي عند الشيخ، لكنني انصرفت عن الموضوع بعد أن أخبرني بأن هناك رسالة علمية في الموضوع بالجامعة الإسلامية...

بسم الله الرحمن الرحيم

FAHAD A. AL-ROUMI
Riyadh - Saudi - Arabia
P. O. Box 15176
Tel. (   )

فهد بن عبد الرحمن الرومي
المملكة العربية السعودية
الرياض- ص.ب ١٥١٧٦
(   )

التاريخ ٥ / ١١ / ١٤١٠ Date

أخي العزيز الأستاذ / عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس   حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فقد تسلمت صباح اليوم رسالتكم الكريمة المؤرخة ١٤٠٩/١٢/١٩ وقد سررت كثيراً بإنجازكم جل أعمال الفهرسة المتعلقة بأطروحة الدكتوراه داعياً الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم ويسدد خطاكم.

كما أشكركم على تفضلكم بتصوير رسالتكم للماجستير ووعدكم بإرسالها إليّ فشكراً جزيلاً

أخي

ذكرتم في رسالتكم أنه لا ينقصكم من مؤلفاتي سوى تفسير الفاتحة للشيخ محمد بن عبدالوهاب والذي قمت بتحقيقه والتعليق عليه - ويسرني إهداؤكم نسخة

كما أود منكم تزويدي بما ترونه من ملاحظات أو معلومات مفيدة لأي كتاب من مؤلفاتي حتى أستفيد منه في الطبعات التالية إن شاء الله. وختاماً لكم خالص الشكر والتحيات

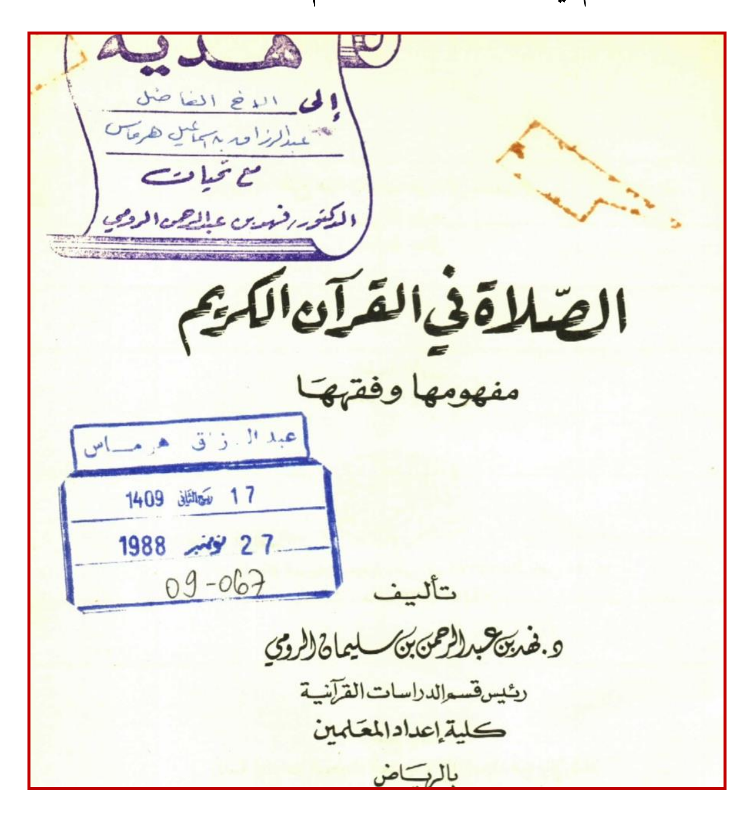
أخوكم

د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي

ص.ب ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤ السعودية

رسالة جوابية من الدكتور فهد بتاريخ ٥ ذو القعدة ١٤١٠ هـ

وقد تجاوزت مناقشاتنا موضوعات البحث إلى أوعية النشر، فقد كنت دوما متطلعا للنشر في المجلات المحكمة خارج المغرب، وفي احدى المرات أهديت الدكتور فهد دراسة لي نشرت بإحدى المجلات الخليجية ذائعة الصيت، فرد علي بأنها رغم شهرتها وأسماء الذين ينشرون فيها فهي غير معتمدة لأنها لا تتوفر على الشروط الأكاديمية المعتبرة. وطيلة سنوات وطد إهداء الأبحاث الصلة العلمية بيننا ثم أصبحت المؤتمرات تجمعنا، وبمناسبتها تعرفت على كثير من الباحثين السعوديين ممن توثقت علاقتي بهم وأنست بمتابعة جهودهم في خدمة القرآن الكريم والحمد لله.



أول إهداء وصلني من د. فهد بتاريخ ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ

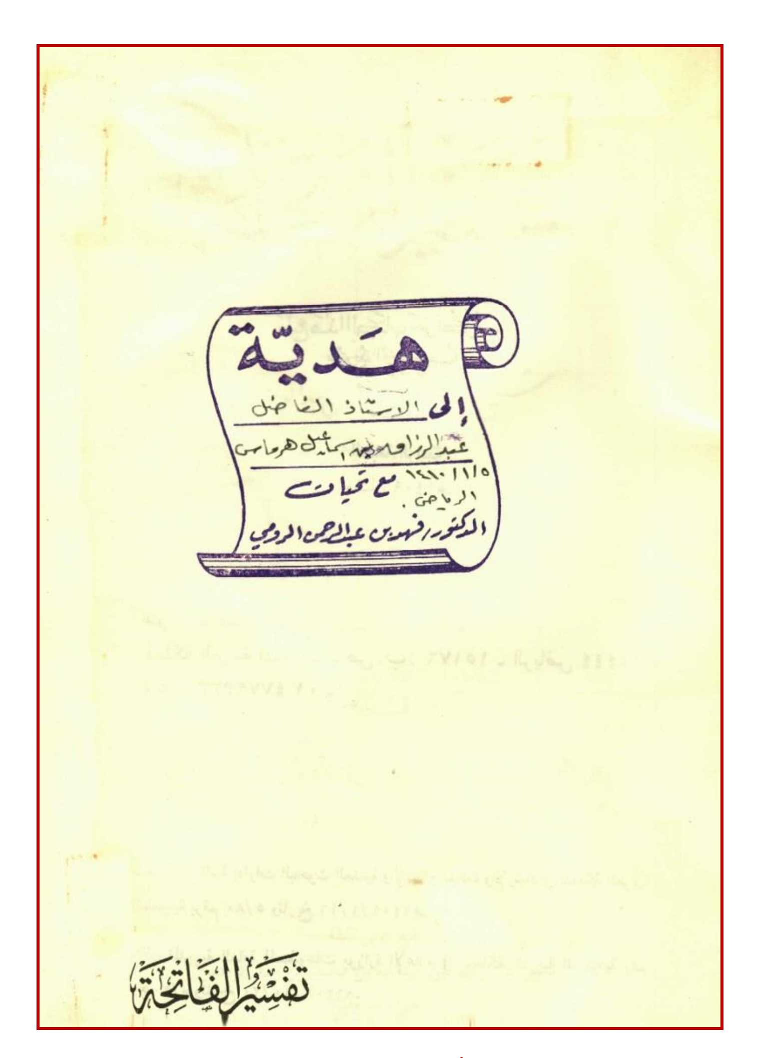
ولا تتسع هذه الورقة لعرض أرشيف المراسلات بيننا أو للحديث عن مناقشاتنا حول موضوعات الأبحاث إذ يكفي ما تقدم، لذلك أرى أن أنتقل في هذه الورقة للكلام عن أمرين:

الأول يتعلق بالجامعة السعودية في الفترة التي التحق بها د. فهد الرومي مدرسا.

والأمر الثاني يرتبط بالمجالات البحثية التي شغلته خلال أربعة عقود.

فحين أنظر مليا في ثنايا العقود الثلاثة الماضية مستحضرا صلتي بالدكتور فهد الرومي ثم تعرفي لاحقا على عدد من الباحثين السعوديين الذين نبغوا في الدرس القرآني تأليفا وتحقيقا، أجد الدكتور فهد حلقة وسطى بين مرحلتين مختلفتين في تاريخ أقسام الدراسات القرآنية العليا بالجامعات السعودية:

الأولى مرحلة استعانتها بالأساتذة الوافدين من أرض الكنانة وبلاد الشام ومنهم أولئك الذين ناقشوا الدكتور فهد في أطروحته السالفة عام ١٤٠٥هـ وهم الشاميان د.مصطفى مسلم محمد ود. أحمد حسن فرحات والمصري الشيخ مناع خليل القطان وكانوا من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.



اهداء تحقيق القطعة الأولى من تفسير الشيخ ابن عبدالوهاب

٥ محرم ١٤١٠ هـ

والمرحلة الثانية مرحلة وفرة الأساتذة من السعوديين التي صادفت التوسع الكبير للجامعات أيام الملك فهد الذي كان أول وزير للمعارف عام ١٣٧٣هـ بعد إلغاء الملك عبدالعزيز لمديرية التعليم التي رأسها مستشاره حافظ وهبة.

وفي هذه المرحلة تحولت مدينة الرياض بجامعتيها "الملك سعود" التي احتضنت د. فهد أستاذا و "الإمام محمد ابن سعود" التي احتضنته طالب دراسات عليا إلى حاضرة للدراسات القرآنية، إذ اجتمع فوق رباها ما لم يجتمع في غيرها من الكفاءات العلمية المتخصصة في القرآن - رغم خلوها من كلية تفرد للتخصص - وقد عاصر الدكتور أبو خالد هذا التطور وأسهم فيه إذ بمراجعة ما جمعته مكتبتي الخاصة من الأطروحات المتخصصة المطبوعة التي أنتجتها جامعات الرياض أصادف اسمه مشرفا أو مناقشا لعدد منها، وأدى هذا التطور إلى اختصاص مدينة الرياض بعد توسعها باحتضان "مجتمع الباحثين في القرآن قراءة وتفسيرا" برز ذلك من خلال مراكز وكراسي البحث المتخصصة التي غدت اليوم محركا رئيسا لتطوير الدراسات القرآنية والإبداع فيها.

أما ما يتعلق بالأمر الثاني وهو المجالات البحثية التي شغلت د. فهد الرومي طيلة أربعة عقود فانه إلى جانب اهتمامه بالتأليف الجامعي في علوم القرآن وأصول التفسير، انشغل بموضوع المنهج في علم تفسير القرآن وهو موضوع له أولوية كبرى في عصرنا الراهن، وقد فطن د. أبو خالد إلى ذلك مبكرا بعد حصوله على البكالوريوس عام ١٣٩٣ هـ ورغبته في ولوج مرحلة الماجستير.

فقد استقر في يقينه أن البحث العلمي في جميع مجالات المعرفة الإنسانية مادة ومنهج.

واذا كانت مادة علم التفسير عند كل من انتسب إلى الاشتغال به تتمثل في القرآن

الكريم وهو محفوظ في المصاحف، فإن الاختلاف وأشد منه الانحراف في التفسير لا بد أن يرجع إلى المنهج.

والمنهج في مجال الدرس الأكاديمي يوصف بأنه "حاجز" بين ذات الباحث غير المجردة وبين دراسته التي لا يجب أن تتأثر بميوله أو أهواؤه سواء أكانت فكرية أو اعتقادية أو مادية.

والدكتور فهد الرومي كان منذ ذلك الحين كان على بصيرة بهذا الجانب لذلك قال في مقدمة رسالته للماجستير التي نوقشت عام ١٤٠٠هـ: " أما تفسير القرآن وينبني عليه ما بعده فأمر هام في منتهى الأهمية وغايتها، فنحن في عصرنا هذا أمام تيارات مختلفة لتفسير القرآن كلها يدعي صلاح منهجه في التفسير ويدعو إلى سلوكه... ؛وحتى يعطي تفسير القرآن ثمرته يجب أن نقيمه على أسس ثابتة وننفي عنه زغل المناهج الضالة أو المنحرفة".

يقين الدكتور فهد بأهمية المنهج ظل موجها له فيما أنتجه من أبحاث بعد الماجستير:

فحرص أولا على صياغة رسالته للدكتوراه عن "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" لتكون تقويما لمناهج التفسير عند المعاصرين.

ثم انخرط بعد ذلك من خلال مشاركاته في المؤتمرات لخدمة البحث المهتم بالمنهج تنظيرا أو تقويما.

فمن دراساته **التنظيرية** بحثان قدمها لمؤتمرين انعقد أولهما في الرياض أسهم فيه بدراسة عن "منهج المدرسة الأندلسية في التفسير صفاته وخصائصه"، والمؤتمر الثاني كان في تطوان بالمغرب أسهم فيه ببحث موضوعه "قول الصحابي في التفسير الأندلسي حتى نهاية القرن السادس"...

ومن دراساته **التقويمية** التي قدمها لهذه المؤتمرات بحث عن "تحريف المصطلحات

القرآنية وأثره في انحراف التفسير" وآخر عن "مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها ودورهم في الذب عن مذهب السلف فيها" وهو مقدم إلى مؤتمر في تونس...

لقد امتدت صلتي بالدكتور فهد أعواما رغم تباعد الأوطان، ثم فاجأني بما لم أفكر فيه من قبل إذ في ضحوة أحد أيام الله كنت نزيل مدينة أبوظبي وكان بيني وبين الدكتور فهد اتصال هاتفي علمت من خلاله أنه بلغ سن التقاعد، فشق علي ذلك لما أعرفه عن النظام الذي يتدرج فيه الأستاذ الجامعي بالعالم العربي، حيث توجه طاقاته للتدريس بحكم أن الجامعات العصرية منذ نشأتها في فجر القرن العشرين بالبلدان العربية ورغم تأثرها بالجامعة الغربية إلا أنها كانت مقطوعة عن امتداداتها خارج فصول التدريس.

إذ الجامعات في أوربا الغربية ليست سوى حلقة واحدة في سلسلة ممتدة، فهناك الجامعات التي تمارس فيها أنشطة التدريس ثم هناك الأكاديميات العلمية التي تحتضن أنشطة البحث ثم المراكز البحثية والجمعيات المتخصصة ودور النشر الجامعية، والأستاذ الجامعي الغربي إن كان ضعيفا أو متهاونا في البحث انتهت حياته العملية بتقاعده الوظيفي، أما اذا كان نشيطا في مجالي التدريس والبحث معا فإنه في الخامسة والستين من عمره يتقاعد من الجامعة ويستمر في الأكاديمية، فيطول عمره منشغلا بالمجال الذي ندر نفسه له، ثم إن القوم عندهم نظم لا تسمح لحملة الدكتوراه بولوج الأقسام الجامعية إلا بعد فترة تدريب متقدم على البحث، وهذه النظم نفسها تسمح للأستاذ المتقاعد من جهة أخرى بتوظيف عدد محدد من الحاصلين على الدكتوراه من طلبته كباحثين مساعدين لاستكمال مشاريعه البحثية بالأكاديميات.

وكم تمنيت لو أن النظم الجامعية بالعالم العربي استلهمت نظام الأكاديميات

بالغرب فتفتح للأساتذة ممن لهم همة في البحث مجال للاستمرار في مشاريعهم بعد احالتهم على التقاعد، فلا يكون تقاعدهم مرحلة راحة أو استجمام أو مجالسة أحفاد، بل يغدو التقاعد تفرغا للاستمتاع بلذة البحث التي لا يقطعها تحضير دروس أو التزام بدوام أو اجتماع في كلية أو تصحيح اختبار. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

د. عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس
جامعة ابن زهر، المغرب

أ. د. فهد الرومي والمؤتمرات

إعداد

أ. د: عيسى بن ناصر الدريبي

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

والمستشار العلمي بكرسي تعليم القرآن واقرائه وعضو هيئته الإشرافية

أ. د . فهد الرومي والمؤتمرات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

فبطلب كريم من كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود للكتابة في محور الدكتور فهد الرومي ومشاركاته في المؤتمرات العلمية أكتب هذه الخواطر وهي لا تفي بحق علم من أعلام مؤتمرات الدراسات القرآنية، ولكنها استجابة لطلبهم الكريم وشيء من الوفاء في حق أستاذ الجيل .

وبداية أشكر للكرسي ومشرفه أخي د. عمر الدهيشي هذه المبادرة في الوفاء لشيخنا أ.د.فهد الرومي، وهو رجل علم في تخصص الدراسات القرآنية، وهذه مبادرة مشكورة للكرسي تعرف بشيء من جهود أستاذنا في عدة مجالات علمية ومهنية.

منها مجال المؤتمرات: وهو ركن أساس من أركان البحث العلمي كان للدكتور فهد فيه صولات وجولات.

وأشكر للإخوة في الكرسي حسن ظنهم بي في كتابة بعض الخواطر والمواقف عن مشاركات المحتفى به.

وقد يسر الله لي مرافقة د فهد في عدد كبير من المؤتمرات خارج السعودية في ماليزيا والأردن ومصر والمغرب والكويت . وأفدت من صحبته علميا

كما أفدت منها خبرة في الحياة المؤتمرية - إن صح التعبير -

وقد استعنت بالله في الكتابة عن هذا المحور في حياة شيخنا العلمية .

وقد جعلت الحديث عن ذلك في عدة نقاط سعيت فيها في إبراز أسبقية وتميز د فهد في المشاركة في المؤتمرات.

والله أسأل أن يمدّ في عمر أستاذنا ويكتب هو بقلمه السيال عن مشاركاته في المؤتمرات.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الحديث عن مشاركات أ. د فهد الرومي في المؤتمرات حديث ذو شجون، ولكني حرصت على تسجيل أهم وأبرز ما يميز حضور د .فهد في المؤتمرات ومشاركته فيها

وذلك في عدة نقاط هي:

١ - الأسبقية.

٢- الفاعلية.

٣- التركيز في التخصص.

٤- الفاعلية في الحضور في جلسات المؤتمرات.

٥- المحاور البارع.

٦- الأخوة والمؤانسة.

٧- مواقف شاهدة.

١ـ الأسبقية

كان لأستاذنا قدم سبق في المشاركة في عالم المؤتمرات بين المتخصصين في الدراسات القرآنية ، وقد ذكرلي د فهد أن أول مؤتمر حضره كان عام ١٣٩٨هـ مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام.

وأول مؤتمر يشارك فيه ببحث هو: مؤتمر الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات وقد شارك ببحث عنوانه منهج المدرسة الأندلسية في التفسير.

أسبقية حضور ومشاركة د. فهد كان لها قيمتها من حيث التواصل مع المتخصصين في دول عدة . وكذا إفادتهم منه وخاصة أنه من أوائل المؤلفين في العصر الحاضر في علوم القرآن خاصة والدراسات القرآنية عامة.

٢ـ الفاعلية:

من تميز د فهد في المؤتمرات فاعليته في حضوره من حيث:

أ- حضوره في كثير من المؤتمرات بتقديم ورقة عمل، فقد كان د. فهد نشيطا في عمره العلمي، مشاركا باحثا. يقدم بحوثا في مختلف التخصصات الفرعية في الدراسات القرآنية وبعض كتبه المطبوعة اليوم هي من تلك المشاركات..

ب- رئاسته لجلسات المؤتمرات: د .فهد قامة علمية معروفة وتحرص كثير من المؤتمرات على أن يرأس بعض جلسات مؤتمرها .

وفي بعض الأحيان يكون هو ضيف المؤتمر الرئيس كما حصل في مؤتمر مناهج المفسرين الذي عقدته الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا عام ١٤٢٦هـ وكان هذا المؤتمر هو أول مؤتمر أشارك فيه ببحث وقد سجل عدد من الزملاء طلب حضورهم مما يصعب معه حضور د فهد على حساب الجامعة فعزم على الحضور على حسابه وإذ بالجامعة في ماليزيا تتصل به وتخبرنه بأنه ضيف المؤتمر الرسمي وقد ذكر لي د . فهد أنه اتصل بهم و أخبرهم أنه سيحضر على حسابه وأن مشايخه د مصطفى مسلم ود زاهر الألمعي أولى منه باستضافة المؤتمر، - وهذا من تقديره لأساتذته وإيثاره على نفسه - فأخبرونه أن قرار الجامعة صدر وليس من حقهم التغيير.

ج - حضوره ومشاركته في أغلب مؤتمرات التخصص، فيندر أن يكون هناك مؤتمر في

التخصص له وجوده العلمي إلا وترى د فهد حاضرا باحثا أو مداخلاً أو رئيس جلسة.

٣- التركيز في التخصص:

من حسن سير د. فهد العلمي أنه ركز على التخصص حتى في المؤتمرات . ولذا يندر أن يكون هناك مؤتمر في التخصص ويغيب عنه د فهد . وهذا أعطاه حضورا متميزا في الأوساط الأكاديمية والبحثية .

٤- الفاعلية في الحضور أثناء جلسات المؤتمرات

د. فهد إذا حضر مؤتمرا فإنك ترى الجدية المطلقة في الحضور الفاعل والمؤثر، إضافة إلى حرصه التام على حضور كل جلسات المؤتمر وكل أيامه . وترى فيه جلدا في المداومة من الصباح الباكر إلى المساء، وبعض المؤتمرات يكون الوقت فيه مضغوطا والجلسات متوالية ومع هذا تراه إلى أن تنتهي أشغال المؤتمر طيلة اليوم وهو في الصف الأول في الحضور، وتعجب من صبره وتحمله طيلة أيام المؤتمر – ماشالله تبارك الله – صبر ومصابرة ومرابطة .

ويمكن تركيز الحديث في فاعليته في أثناء المؤتمر في النقاط التالية:

أ- الانتظام والتبكير.

ب- الحرص على التوجيه.

ج- الحرص على التعرف على الجميع وخاصة الأوجه الجديدة (طبعا وكتبه قد سبقته في التعريف به).

د - الحرص على حيازة جميع الأبحاث، كان د فهد شغوفا بجمع كل أبحاث المؤتمر –

إذا لم تكن مطبوعة كغالب المؤتمرات - يجمعها من أصحابها، ولا يستصغر أي باحث حتى لو لم يكن معروفا .

هـ - الحسم في المواقف المخالفة للشرع.

كان د فهد وما يزال غيورا على دين الله، ولا يجامل أو يسكت إذا رأى في مؤتمر ما بحثا فيه تعد على شرع الله أو العلماء، وقد شهدت معه موقفا في أحد المؤتمرات في المغرب، فقد ألقى أحد الباحثين بحثا وتكلم فيه على بعض المسائل التي فيها تنقص من الصحابة رضي الله عنهم ، فما كان منه إلا أن طلب التعليق وعلق بكل قوة وقد رأيت وجهه يتمعر ورد ردا قويا على الباحث مع أنه سعودي ثم عاتب اللجنة المسئولة عن المؤتمر كيف يسمحون لبحث فيه هذه المخالفات الشرعية بالمرور؟ فاعتذروا له أنهم لما رأوا أنه ينتمي لجامعة شرعية معروفة اعتقدوا فيه الخير وأحسنوا الظن ولم يدققوا في قراءة البحث .

٥ـ المحاور البارع

شهدت مع د فهد عددا من المؤتمرات فكان لطيفا في مناقشاته، يفتتح المداخلة بثناء على الباحث وبصوت هادئ وبنبرة مميزة يعقب ويلاحظ . إلا إذا رأى من صاحب البحث جدلا أو تعد فإنه يعرض. ومن ذلك:

في مؤتمر الإعجاز العددي الثاني في المغرب ناقش أحدهم في جلسة على الغداء عن اعتداده بآرائه وتكراره القول أن قولي هذا لم يقل به أحد منذ خمسة عشر قرنا !!! وامتد النقاش إلى أن قال أنه حكم بالوضع على ٣٠٠٠ حديث في البخاري ! عندها أنهى د.فهد الحديث معه .

٦ـ الأخوة والمؤانسة

وتتمثل في عنايته بمن يرافقه. وهذا جانب أخوي له حضوره في شخصية د. فهد فقد كان حسن العشرة لصحبته في أسفاره في المؤتمرات يعتني بهم، ويحرص على مشاركتهم في غالب الوقت، يوقظهم للفجر ثم لقهوة الصباح ويتعدهم بعد نهاية الجلسات، ويسمر معهم في الليل بتواضع جم، وخلق عال . وكل من رافق شيخنا يشهد بذلك.

٧ـ مواقف شاهدة.

مواقف د فهد في المؤتمرات التي حضرتها معه كثيرة وكثيرة وتحتاج إلى وقت لاستحضارها، ولكني هنا سوف أسجل بعضها بدون ترتيب علمي، حتى تقرأ في سياقها من ذاكرة الرحلات.

بعض هذه المواقف علمية بحتة، وبعضها أخوية.

من هذه المواقف:

١ – موقفه في تشجيعي لي في مشاركتي بأول بحث أقدمه في مؤتمر مناهج المفسرين في ماليزيا عام ١٤٢٦. فقد كانت تلك المشاركة لي هي الأولى وكان المؤتمر زاخرا بعدد كبير من المشاركين من كل أنحاء العالم، وكان بحثي هو أول بحث في أول جلسة . وبالعادة يكون الجميع حاضرا في الجلسة الأولى وكان بحثي عن تفسير السلف، ووجدت حينها شيئا من الرهبة مع تعودي على الإلقاء والحضور في كثير من الملتقيات العالمية لكنها كانت البداية في التخصص، والحضور كثيف ومتخصص، أذكر حينها أنه شجعني جزاه الله خيرا وقال لي : أنت وبحثك أحق أن يكون له الصدارة في هذا المؤتمر الهام والنوعي.

٢- من المواقف التي لا أنساها التي رأيت فيها صبره في المواقف الصعبة: حينما توفي أحد أولاده بحادث سير وكنا في مؤتمر في المغرب ..

فبعد صلاة الفجر جماعة أنا وهو ود أحمد البريدي ود محمد صفاء حقي رجع كل منا إلى غرفته لنستريح قليلا من عناء السفر ثم بعدها نذهب للمؤتمر، وما إن وضعت رأسي وإذا بجوالي يرن، وإذا به د. هيثم ابن د فهد – وهو صديق عزيز عندي – يتصل بي، فجاوبته، فسألني عن والده قلت له بخير وقبل قليل افترقنا بعد أن صلينا الفجر، فأخبرني بخبر كالصاعقة، قال إن أخي عبدالله توفي في حادث وأريدك أن تخبر الوالد بهذا، الله المستعان كيف أتولى نقل مثل هذا الخبر المفجع لشخص عزيز علي ونحن في سفر بعيد!؟، فاتصلت بالأخوين د البريدي ود صفاء وجلسنا نتشاور في الأمر . أذكر حينها أن د محمد صفاء اعتذر عن إبلاغه قال أنا لا أستطيع إخباره . عندها عزمنا أنا ود. البريدي إخباره – وكانت من أصعب اللحظات التي مرت بي – نحن في سفر والمكان بعيد . فطرقنا عليه الباب وجلسنا معه وأخبرناه، ومهدنا له أنه في حالة حرجة، ولكنه إحساس الوالد يبرز في هذه المواقف فسألنا هل توفي ؟

فقلنا له: نعم، فتحدرت دموعه وهو صابر محتسب ثم انهالت الدموع من عينيه دموع والد مكلوم بفلذة كبده.

وبعدها استعدينا للذهاب لافتتاح المؤتمر، فأصر على الذهاب، وحينما دخلنا أخبرت رئيس المؤتمر د الحسين زايد في كلية العلوم في جامعة محمد الخامس بالرباط وعزاه، ورأيت جبلا من الصبر يومها هو أبو خالد د فهد الرومي، رأيت الصبر عند المصيبة في ذلك الموقف منه وبعد افتتاح المؤتمر رتبوا لنا سيارة ورافقته في الطريق إلى المطار . وقد حجز على أقرب رحلة لحضور جنازة ابنه رحمه الله .

هذه بعض الذكريات سقتها على سبيل الخواطر، ومقام د. فهد حقه أن يبسط فيه ... ولكن حسبي أنها خواطر محب له سعد بمرافقته في كثير من المؤتمرات . فما وجد فيها من صواب فدعوة منه تسعدنا ، وما وجد من تقصير فلعله يعذرنا.

وصلى الله على سيدنا محمد .

قيده المحب للدكتور فهد الرومي

أ. د: عيسى بن ناصر الدريبي
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود
المشرف العام على وقف بصائر لخدمة القرآن وعلومه
والمستشار العلمي بكرسي تعليم القرآن واقرائه وعضو هيئته الإشرافية

وقفات حول مشاركة أ.د. فهد الرومي
في المؤتمرات والندوات العلمية

إعداد

أ. د: إبراهيم بن صالح الحميضي

جامعة القصيم

وقفات حول مشاركة
أ.د. فهد الرومي في المؤتمرات والندوات العلمية

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية لها أهمية كبيرة؛ فهي وسيلة كبيرة لصقل وتطوير وإثراء الخبرة العلمية في مجال التخصص، كما أنها جسر قصير للتواصل مع المتخصصين والخبراء، وهي أيضا مصدر من مصادر العثور على الأبحاث والمطبوعات والكتب العلمية الحديثة، أضف إلى ذلك أنها وسيلة لحمل الرسالة العلمية السليمة، والقيم الإسلامية السامية ونشرها في المحافل.

وقد كان لشيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي عنايةٌ كبيرة ومبكِّرة بالمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية، ولا سيما المتعلقة بالدراسات القرآنية، فقد شارك في عدد كبير من المؤتمرات في بلاد مختلفة، ولا زال - حفظه الله- حريصاً على ذلك.

وقد شَرُفتُ بمصاحبته في بعض المؤتمرات، فألفيته يشارك مشاركة مثمرة، حيث يحرص على انتقاء أجود المؤتمرات، وأنسبها لتخصصه واهتمامه، ثم يحرص على تقديم ورقة متميزة فيها، أو يحضر حضوراً إيجابياً فيداخل، وينصت، ويعقّب، كما يسعى إلى اقتناء الأبحاث والمجلات والكتب المتميزة التي توزع أو تباع في المعارض المصاحبة،

كذلك يستغلُّ أوقات الراحة خارج جلسات المؤتمر للتعرُّف على المشاركين والإفادة منهم، كما يزور بعض المكتبات ودور النشر، والمعاهد والشخصيات العلمية في البلد المستضيف، كل ذلك مع طيب المعشر، وحسن التعامل، وخفَّة الظل، وكرم النفس.

وفي هذه الورقة المختصرة، وَقَفَاتٌ ولمحات حول مشاركات الأستاذ الدكتور فهد في المؤتمرات والندوات العلمية، تقديراً لجهوده، وإبرازاً لأنشطته العلمية.

وقد جعلتها في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة، ذكرت فيها لمحاتٍ مختصرةً حول اهتمام الدكتور فهد الرومي بالمشاركة في المؤتمرات العلمية، والمجالات العلمية التي شارك فيها، والاستثمار الأمثل لمشاركاته، وأثر مشاركاته في المؤتمرات العلمية في مسيرته العلمية.

وما ذكرته في هذه الورقة هي مشاهدات وخواطر عَجْلَى، حول ما اطَّلعت عليه من مشاركات أستاذنا الفاضل في المؤتمرات العلمية، وكنت أحب أن تكون هذه الورقة أوسعَ من ذلك وأكثر تفصيلاً، ولكن هذا ما تيسر تقييده وسمح به الوقت، ولعل الأستاذ الدكتور فهد -وفقه الله- يكتب خلاصة تجاربه ورؤاه حول هذا الموضوع حتى يفيد منها من الباحثون والأكاديميون.

وفي الختام، أشكر كرسي القرآن الكريم بجامعة الملك سعود على تنظيم هذه الندوة المباركة، وفاءً لهذه الشخصية الكبيرة، وتعريفاً بجهودها، فالأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي يعدُّ من أعلام الدراسات القرآنية المعاصرين، وقد كان له أثر واضح في تطوير هذا المجال الشريف تأليفاً وتدريساً ومحاضرةً وتحكيماً.

بارك الله في أستاذنا الكريم ونفع بعلمه، وجعلنا وإياه من أهل القرآن، إنه قريب مجيب.

المطلب الأول
اهتمام الدكتور فهد الرومي بالمشاركة في المؤتمرات العلمية

المشاركة في المؤتمرات العلمية مهمة جداً، ولا سيما للأستاذ الجامعي، لما لها من ثمرات عديدة، فهي محفِّزٌ للبحث والكتابة، ووسيلة للاطلاع على البحوث والدراسات الحديثة في مجال التخصص، وفرصة للتعرُّف على الشخصيات العلمية، ومذاكرتهم ومناقشتهم حول المسائل العلمية، والمصادر البحثية في مجال التخصص.

وقد كان لأستاذنا الفاضل الدكتور فهد اهتمام كبير ومبكِّر بالمؤتمرات العلمية القرآنية أو التي تشتمل على محاور تتعلق بالدراسات القرآنية، وكان أول مؤتمر شارك فيه عام ١٣٩٨هـ، بعد تخرجه من الجامعة، وآخر مؤتمر في شهر رجب هذا العام ١٤٤٠هـ.

وقد كان المشاركَ الوحيد من المملكة العربية السعودية في بعض المؤتمرات، حيث كان يراسل القائمين على المؤتمر ويبعث لهم مشاركته عبر البريد العادي الورقي، ثم ينتظر الرد أسابيع.

وقد شارك أستاذنا - حفظه الله - في عشرات المؤتمرات، داخل المملكة وخارجها، وكانت مشاركاته في معظم مناطق المملكة، وفي الكويت والإمارات والبحرين والأردن ومصر وتونس والمغرب وماليزيا وأندونيسيا والبرازيل، وغيرها.

ولم تقتصر مشاركاته على نوع محدد من المؤتمرات، حيث شارك باحثاً ومداخلاً ورئيساً لجلسة في مؤتمرات كبرى، وندوات قصيرة، وملتقيات علمية سنوية، وغيرها.

ولم ينقطع عن المشاركة في المؤتمرات العلمية خلال هذه الفترة الطويلة، وربما شارك في عدة مؤتمرات في عام واحد، مبادراً، أو مدعوّاً من القائمين على المؤتمر.

ونظراً لخبرته الطويلة وعلاقاته الواسعة، صار له اطلاع ومعرفة بالمؤتمرات العلمية القرآنية زماناً ومكاناً ومستوى علمياً.

المطلب الثاني

المجالات العلمية التي شارك فيها الدكتور فهد الرومي في المؤتمرات العلمية

يحرص أستاذنا الدكتور فهد على أن تكون مشاركاته في مجال تخصصه العلمي (الدراسات القرآنية) مع تنوُّع معارفه وقدرته على المشاركة في علوم أخرى.

وقد تنوعت دراساته وأبحاثه التي قدمها في المؤتمرات والندوات العلمية، فكتب في موضوعات وأنواع عديدة من علوم القرآن الكريم، منها ما يلي:

أولاً: علوم القرآن:

وكتب فيها ما يلي:

١ - جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين.

٢ - نقل معاني القرآن إلى لغة أخرى، ترجمة أم تفسير.

٣- تحريف المصطلحات القرآنية في القرن الرابع عشر.

٤ - مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها.

٥- الاستدلال بالظواهر الكونية في الحوار القرآني.

٦- الوسائل والطرق التعليمية في تدريس التجويد.

٧- الأمن النفسي في القرآن الكريم.

٨- ضوابط الإعجاز العددي في القران الكريم.

٩- أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية.

١٠- أثر القرآن الكريم في انتشار اللغة العربية.

ثانياً: مناهج المفسرين:

وكتب فيها ما يلي:

١- التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري.

٢- منهج المدرسة الأندلسية في التفسير "صفاته وخصائصه.

ثالثاً: أصول التفسير،

وكتب فيها ما يلي:

١- قول الصحابي في التفسير الأندلسي حتى القرن السادس.

رابعاً: التفسير الموضوعي،

وكتب فيه:

١- القوامة في القرآن الكريم حقٌّ من حقوق المرأة.

هذا ما اطَّلعتُ عليه من مشاركات الأستاذ الدكتور فهد في المؤتمرات، ولم أتمكن من حصرها جميعاً.

وكثير من هذه الأبحاث طُبعت مفردةً، وبعضها طبع أكثر من طبعة، وهي أبحاث جيدة محررة، أفاد منها الدارسون ونقلوا عنها وأحالوا عليها.

وبعض هذه الأبحاث أضاف لها الدكتور فهد إضافات مهمة، ونقَّحها قبل طباعتها.

المطلب الثالث

المشاركة المثمرة للدكتور فهد الرومي في المؤتمرات العلمية

الناظر في أحوال المشاركين المؤتمرات يجد أنهم أصناف، فمنهم من يشارك مشاركة ضعيفة أو غير مثمرة، وقد يكون الغرض منها النزهة، وقضاء بعض الحوائج في بلد المؤتمر، ولذلك لا يهتم بموضوع المؤتمر، ومكانة المؤسسة المنظمة له، وربما يتغيب عن حضور بعض الجلسات، وإن حضر لم ينصت، ولم يداخل ويناقش، وربما انشغل بهاتفه، أو استسلم للنوم، وإن قدم ورقة فهي من باب تحلَّة القسم؛ حيث لا يتقن بحثها وكتابتها، ولا يحسن عرضها وتقديمها، بل من أجل أن تشفع له في الحضور، أو تحتسب له وحدة بحثية في الترقية، كذلك تجد هذا الصنف لا ينتهز فرصة الحضور للتعرف على الشخصيات العلمية واللقاء، بهم بل تجده يحرص على الجلوس مع زملائه الذين حضروا معه.

ومنهم من يشارك مشاركة مثمرة، فينتقي من المؤتمرات أجودها تنظيماً، وأحسنها موضوعاً، وأنسبها لتخصصه واهتمامه، ثم يحرص على تقديم ورقة متميزة فيها، أو يحضر حضوراً إيجابياً فيداخل، وينصت، ويعقّب، ويتعرَّف على أهل العلم والخبرة في مجال تخصصه، كما يسعى إلى اقتناء الأبحاث والمجلات والكتب المتميزة التي توزع أو تباع في المعارض المصاحبة، كذلك يستغلُّ أوقات الراحة بين جلسات المؤتمر وخارجها، للتعرُّف على المشاركين والإفادة منهم، كما يزور بعض المكتبات ودور النشر، والمعاهد والشخصيات العلمية في البلد المستضيف.

وأحسب أن أستاذنا الكريم الدكتور فهد من هذا النوع، فهو يبادر في ترتيب سفره

ويستعد لذلك استعداداً مبكراً، ويحمل معه بعض مؤلفاته للإهداء، ثم تراه في أوائل الحاضرين ومقدمة الصفوف، ولا يكاد يتأخر عن جلسة من جلسات المؤتمر، ولا سيما إذا كان حضوره عن طريق الجامعة، ويشارك في تقديم الأوراق العلمية والمداخلات والتعليقات، ويرأس بعض الجلسات، وقد يسكت تواضعاً وإيثاراً لغيره.

أما في غير أوقات الجلسات العلمية فهو في حديث ما تع وحوار علمي مع ضيوف المؤتمر وزملاء التخصص.

وعند انتهاء أيام المؤتمر يزور بعض المكتبات والمراكز العلمية، ويقتني بعض الكتب.

وقد صحبته في بعض المؤتمرات خارج المملكة فزرنا بعض المكتبات التجارية التي يعرفها معرفة تامة؛ لكثرة مروره عليها، واقتنينا بعض الكتب، كما صحبته في زيارة بعض المراكز العليمة التي تُعنى بالمخطوطات والكتب النادرة.

المطلب الرابع

أثر مشاركات الأستاذ الدكتور فهد الرومي في المؤتمرات العلمية في مسيرته العلمية

لقد كان لمشاركات الأستاذ الدكتور فهد الرومي في المؤتمرات أثر واضح في مسيرته العلمية والأكاديمية، ويظهر ذلك في جوانب منها:

- كثرة نتاجه العلمي، وتميزه، وتنوعه، فهناك عدد من أبحاثه المطبوعة كانت في الأصل أوراقاً علمية قدمت في مؤتمرات، ثم طُبعتْ مستقلةً.
- أكسبته مشاركاته المتعددة نظرةً ثاقبة وسعةً في الأُفق، ونُضجاً في التفكير.
- اطلاعه على مناهج البحث وأنماط التفكير وأنظمة التعليم وطرائق التدريس في البلاد والجامعات التي زارها مشاركاً في مؤتمر أو ندوة علمية.
- التعرُّف على المتخصصين والباحثين والناشرين، والتواصل العلمي المثمر معهم.
- نشر علوم القرآن الكريم، والمنهج الصحيح في دراسته، ونقد الأخطاء العلمية في تفسيره بأسلوب حكيم مقنع.

الخاتمة

هذه لمحاتٌ سريعة حول مشاركات الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية، آمل أن تكون أبرزت جانباً مشرقاً من مسيرة أستاذنا العلمية الحافلة وجهوده المثمرة، وعطائه المتميز، المتمثِّل بالاهتمام الكبير والمبكِّر بالمؤتمرات العلمية حضوراً وبحثاً ومداخلةً واستشاراً علميا وأكاديمياً.

وأُوصي زملائي الباحثين والأكاديميين بالاهتمام بالمؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية، والحرص على المشاركة فيها حضوراً وكتابةً، لكي يستفيدوا ويفيدوا، وتتوسع معارفهم، وتنموا مداركهم، ويطلعوا على ما يستجد من بحوث ودراسات في مجال تخصصهم، ويتعرفوا على زملاء المهنة وأعلام التخصص، ويفيدوا من خبراتهم وتجاربهم العلمية والتعليمية.

كما أُوصيهم بالإفادة من تجارب الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في هذا المجال، واستشارته حوله، ولا سيما المؤتمرات القرآنية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خدمة الأستاذ الدكتور فهد الرومي للمتخصصين

إعداد

أ. د. عبد السلام بن صالح الجار الله

أستاذ الدراسات القرآنية بكلية التربية

جامعة الملك سعود بالرياض

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فمن بركة العلم على صاحبه أن يوفقه الله تعالى لنشره وبثه في الناس، ومن توفيق الله للعبد قيامه بزكاة علمه ونشره وتعليمه، وذلك من شكر الله تعالى على نعمة العلم، وقد تأذن الله بالزيادة لمن شكر: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، ونشر العلم وتعليمه الناس يزيده ولا ينقصه، كما قيل:

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفًّا شددتا

وقد جاء في تفسير السائل في قول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ١٠] بأنه يشمل سائل العلم المسترشد، جاء عن الحسن البصري وغيره(١).

وشيخنا الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي – حفظه الله تعالى - نحسبه ممن قام بنشر علمه وزكاته عن طريق التعليم والتأليف وغيرهما مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وما أذكره في هذه الورقات منه ما وقفتُ عليه أو سمعته منه، ومنه ما أفادني به بعض مشايخي وزملائي حول جهود شيخنا في خدمة المتخصصين مما شاهدوه أو سمعوه، ومنه ما أفادني به بعض طلبة الدراسات العليا ممن درسهم شيخنا أو أشرف عليهم، وقد لخصتُ ما ورد إليّ من ذلك ورتبته في الصفحات الآتية:

---

(١) تفسير السمعاني (٦/ ٢٤٦)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٧).

يتفاوت العلماء في تعليم الناس ونشر علومهم، ويتفاوتون – أيضاً - في انتفاع الناس بهم، ولذلك أسباب ومبررات، وأرى أن ثمة عوامل مهمة أسهمت في الانتفاع من علم شيخنا، ومنها:

أولاً: البروز العلمي المبكر في الأوساط الأكاديمية، ففضيلته من أوائل المتخصصين الحاصلين على درجة الدكتوراه في الدراسات القرآنية، وله أيضاً كتب ألفها مبكراً؛ حظيت بقبول واستحسان بين المتخصصين وطلاب العلم، وطبع بعضها عدة طبعات، ومن أشهرها:

- رسالته في الماجستير: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير.
- ورسالته في الدكتوراه: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر.
- دراسات في علوم القرآن الكريم.
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، وقد طُبع بعد نظر مؤلفه فيه وتنقيحه باسم: أصول التفسير ومناهجه.

ثانياً: مشاركة الدكتور الفاعلة في الملتقيات والمؤتمرات والندوات العلمية التخصصية في الداخل والخارج، فلا تكاد تخطئ العين فضيلته في هذه الملتقيات: إما رئيساً لجلسة، أو مشاركاً بورقة، أو مفيداً بمداخلة، ولقد سمعت أحد المنظمين في أحد المؤتمرات الخارجية يلقبه بعميد المؤتمرات، ولفضيلته – أيضاً - مشاركة فاعلة في المنتديات والمواقع الإلكترونية، ووسائل التواصل الاجتماعي.

ثالثاً: وقد ترتب على الفقرة السابقة تمتع الشيخ بعلاقات علمية واسعة في الداخل والخارج، والحضور الدائم بين المتخصصين في الدراسات القرآنية مما جعله محط أنظار الباحثين ومحل عنايتهم.

رابعاً: الشخصية الاجتماعية الفذة التي يتمتع بها فضيلته، فهو يتمتع بذكاء اجتماعي، وهو مع ذلك في غاية التواضع لا يتكبر على أحد، طلق المحيا خفيف المعشر، لين الجانب، يأنس به من يجالسه، وهذه الصفات وغيرها عززت من علاقاته الاجتماعية الواسعة، ويسرت للباحثين التواصل معه والإفادة من خبراته العلمية.

وفي الجملة فهذا العامل وما قبله ساعد في قرب المتخصصين وطلبة العلم منه، وأسهم في عطاء شيخنا وإفادته.

ولم يكن عطاء فضيلته العملي وخدمته المتخصصين مقتصراً حين يطلب منه أو يُسأل، وإنما كان يبادر بالإفادة والتوجيه، فقد كان يسأل طلابه عما أنجزوه من بحوث، وأحياناً يسألهم عما بدأوا به من بحوث فور انتهائهم من مناقشة رسالة الدكتوراه، يفعل ذلك على سبيل الحث، وأخذ الأمر بجدية، والبدء فعلاً بالنشر العلمي، فهو يرى أن الباحث قد يعتريه الفتور بعد سنوات شاقة في دراسة الماجستير والدكتوراه، والتي أخذت منه جهداً كبيراً، وهذا الصنيع من شيخنا منطقي، فقد يحلو لبعض الباحثين أن يستريح بعد عناء الدراسة وما تبعها من إعداد الرسائل، ويعدها استراحة محارب، وما يلبث الباحث إلا أن يأنس بهذه الاستراحة، وينصرف شيئاً فشيئاً منشغلاً بأعبائه والتزاماته الوظيفية والاجتماعية، وحينئذٍ يصبح الرجوع إلى البحث والتأليف شاقاً مع طول الانقطاع.

ملامح من خدمة شيخنا للمتخصصين في الدراسات القرآنية :

أولا: تأليف الكتب:

للدكتور فهد – حفظه الله تعالى – قرابة العشرين كتاباً، جلها في تخصص الدراسات القرآن، وبعضها طبع عدة طبعات، فكتاب دراسات في علوم القرآن الكريم طُبع أربعة وعشرين طبعة، وكتاب منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير طُبع أربع طبعات، وطُبع كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ثلاث طبعات، وطُبع كتاب بحوث في أصول التفسير ومناهجه تسع طبعات، وطُبع كتاب أصول التفسير ومناهجه ثلاث طبعات، وهذه أمارة على ما حظيت به كتب فضيلته من قبول بين المتخصصين وطلبة العلم.

غير أن أنفعها للمتخصصين وطلبة العلم وأوسعها انتشاراً - في نظري - كتاب دراسات في علوم القرآن الكريم، فهو من أقدم مؤلفات شيخنا، وقد بذل فيه جهداً كبيراً، ومر الكتاب بمراحل تطويرية من حيث المراجعة وزيادة الأنواع، فكان فضيلته يديم النظر فيه، ويبدي فيه ويعيد، ويزيد وينقص، حتى خرج بهذا القدر من الجودة والإتقان، فهو يحوي نحواً من ثلاثين نوعاً من الأنواع الرئيسة في علوم القرآن الكريم التي لا يستغني عنها طالب علم، يُعنى في كل نوع بذكر مراجعه ومن أفرده من العلماء بالتصنيف، وفي كل نوع مسائل وتفريعاتٍ يُعنى فيها بذكر خلاف العلماء وأقوالهم وأدلتهم فيها، والترجيح بينها، مع ما تميز به الكتاب من حسن الأسلوب، وجودة العرض والترتيب، وقربه من طلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا.

والكتاب مقرر في كثير من الجامعات والمعاهد لطلاب الماجستير والبكالوريوس والدبلوم، ويبعد أن يتخرج طالب في أقسام الدراسات القرآنية إلا وقد مر على هذا

السفر النفيس، وقد شاركتُ في إعداد الخطط الدراسية وتحكيمها في بعض المعاهد والكليات، فكان هذا الكتاب حاضراً بقوة في مقرر علوم القرآن الكريم، ويكاد أن يكون المرجع الرئيس للمقرر، وإلا فهو ضمن المراجع الأساسية للمقرر.

وقد أفدت من هذا الكتاب في استنباط بعض الموضوعات التي بحثتها، وكنتُ مرة مع الشيخ في مؤتمر خارج البلاد، فالتقينا أحد الزملاء، وكان معه حقيبة صغيرة يحمل فيها بعض المراجع، فذكر أن بينها كتاب: دراسات في علوم القرآن الكريم.

ثانيا: التعليم:

يُعد التعليم أوسع المجالات التي خدم فيها الدكتور فهد – حفظه الله – طلبة العلم وأغزرها عطاء، فقد مكث فضيلته في التعليم ما يزيد على أربعة عقود، متنقلاً فيها بين التعليم العام، ثم التعليم العالي بفرعيه: البكالوريوس والدراسات العليا، فقد عُين فضيلته معلماً في التعليم العام بعد تخرجه سنة ١٣٩٤، غير أن همته أبت عليه البقاء عند هذا الحد، فقد أتم مرحلة الماجستير عام ١٤٠٠، منتقلاً بعدها محاضراً في كلية المعلمين بالرياض سنة ١٤٠٢، ثم مرحلة الدكتوراه عام ١٤٠٥، وأستاذاً مساعد في الكلية نفسها، وبقي في سلك التعليم إلى أن طلب هو التفرغ العام الماضي ١٤٤٠، فيكون له في التعليم ست وأربعون سنة، منها خمسة وثلاثون عاماً في التعليم العالي؛ من حين عُين أستاذاً مساعداً عام ١٤٠٥، إلى طلبه التفرغ العام الماضي ١٤٤٠.

ولم يقتصر فضيلته على وظيفته التعليمية التي كُلف بها، وإنما كان يقدم دورساً لطلاب الدراسات العليا متعاوناً مع عدد من الجامعات، وبعضها خارج مقر إقامته في الرياض، مثل: جامعة الأمير سطام بالخرج، وجامعة المجمعة – فرع الزلفي.

ولا ريب أن هذا العمر المديد في التعليم، والتنقل بين الجامعات ومراحل التعليم

بمستوياته المختلفة أثمر عن خبرات تدريسية متنوعة، ظهر أثرها في طلبة شيخنا، وقد راسلتُ عدداً من طلبته في الدراسات العليا ممن درسهم أو أشرف عليهم، فاتفقت كلمتهم على الثناء على الشيخ، وتنوع أساليبه في التدريس وجودتها، وقدرته على الإفهام وتبسيط المعلومة، والبعد عن الاستطراد والخروج عن الموضوع؛ مع الانضباط في مواعيد المحاضرات، وذكر بعض طلبته أن له طرائق عدة في التقييم.

وأكتفي من ثناء طلبته عليه برسالة بعثتها إليّ إحدى طالباته المتميزات في مرحلة الدكتوراه، حيث قالت: لا أبالغ إن قلت: كان نموذجاً فريداً في الإلقاء والطرح والمحاورة والخطاب، لم نحس يوماً أننا في درس من جميل تواضعه وكرم خلقه، فكان ينصب نفسه طالباً لا أستاذاً كما يقول؛ لا تسأل عن رقي الأخلاق وكرم التعامل، وحثه الدؤوب على المبادرة للعلم والقراءة والطلب دون كلل أو ملل، ولعلي قصرت في إظهار جل جوانب الشيخ، لكن جملة القول: إنه من الشخصيات المؤثرة التي مرت عليّ خلال السنوات الأخيرة.

ثالثا: إعارة الكتب:

لفضيلة الدكتور مكتبة حافلة بالمراجع التخصصية وغيرها، فهو من رواد المعارض والمكتبات منذ زمن بعيد، وهو حريص على جمع الكتب، وتحوي مكتبته نوادر الكتب، مما تعب في تحصليها، وبذل جهداً ووقتاً في اقتنائها، وهذا النوع من الكتب مما يضنُّ كثير من الناس في إعارته لنفاسته وخشية ضياعه، ومع ذلك نجد شيخنا لا يتردد في إعارة هذه النفائس مع مظنة عدم عودتها إليه.

وللعلماء مواقف متباينة من إعارة الكتب؛ فمنهم من توقف في ذلك؛ حذراً من ضياعها وعدم عودتها، وكان منهم من لا يعير كتاباً إلا برهن؛ غير أن أكثر العلماء على

استحباب إعارة الكتب وبذلها لمن يستفيد منها، ويعدون هذا الصنيع من بذل العلم، وقد قال الزهري لتلميذه يونس بن يزيد: إياك وغلول الكتب، قيل له: وما هو ؟، قال: حبسها عن أهلها، وقال وكيع: أول بركة الحديث إعارة الكتب[(١)].

وشيخنا – حفظه الله – من هذا الصنف، وله مواقف عديدة في ذلك، فقد حدثني بعض الزملاء أنه احتاج كتاباً حين بحثه الماجستير، وكان الكتاب أصيلاً في بحثه، ومن الضروري الاطلاع عليه ومقارنته ببحثه، وكان الشيخ ذكره في كتابه: دراسات في علوم القرآن الكريم، قال: وبحثت عنه في المكتبات ومعارض الكتاب ولم أجد له أثراً، وبعد يأسي من العثور عليه اتصلت بفضيلته – ولم يكن يعرفني حينها – فسألته عن الكتاب، فأخبرني أنه عنده، وأنه بإمكاني استعارته منه، فذهبت إليه فاستقبلني أحسن استقبال وأعارني الكتاب، وكان فرحي بالعثور عليه لا يوصف.

وقد ذكر شيخنا غير مرة أنه أعار كتباً ولم تعد إليه، ولم يثنه هذا الصنيع من إعارة الكتب وبذلها لطلابها.

رابعا: تقديم الاستشارات:

مارس فضيلة الدكتور – حفظه الله تعالى – إلى جانب وظيفته العلمية الأساسية العمل الإداري، فقد تولى رئاسة قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين فترة من الزمن في أوائل نشأته، وكلف أيضاً برئاسة قسم الدراسات الإسلامية في الكلية نفسها.

---

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة (ص ١٢٦)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٦١).

وشارك في عدد من اللجان والمجالس والهيئات العلمية في بعض الجامعات والمراكز العلمية، ومنها:

- ما يتصل بالمناهج الدراسية ومفردات المقررات، وتأليف الكتب الدراسية في التعليم العالي والعام.
- العضوية في المجلس العلمي لكيات المعلمين منذ إنشائه إلى أن ضمت كليات المعلمين للجامعات السعودية.
- العضوية في المجلس العلمي في الهيئة العالمية لتحفيظ القران الكريم.
- العضوية في الهيئات الاستشارية وهيئات التحرير لبعض المجلات العلمية داخلياً وخارجياً.

وهذه المشاركات العلمية والإدارية والأكاديمية عززت من خبرات فضيلته العلمية والإدارية والأكاديمية ومكنته من الإلمام باللوائح والأنظمة، فصرفت إليه أنظار زملائه وطلابه وغيرهم.

ولفضيلته محاضرة في جمعية تبيان للمتخصصين بعنوان: "من مذكرات البحث العلمي"، عرض فيها خبراته البحثية، وهي خلاصة تجربة دامت عقوداً، وقد كشفت المحاضرة ما كان عليه فضيلته من دأب وحرص على التحصيل العلمي حين بحثه الماجستير والدكتوراه؛ مع عدم وجود وسائل التقنية الحديثة، والتي يسرت السبل للباحثين، واختصرت عليهم كثيراً من الجهد والوقت، وكشفت المحاضرة - أيضاً - دقة الشيخ، وحرصه على حفظ كل ما يتصل ببحثه من أوراق ووثائق وتوثيقه؛ مما لا يخطر في خلد أحدٍ من الباحثين أن ثمة حاجة إلى الاحتفاظ بها، وقد احتفظ بها فضيلته، واحتاج لنشرها بعد عقود.

ومن احتفاظ الشيخ بالوثائق والمذكرات والأوراق العلمية التي لا يحرص الباحثون عادةً بالاحتفاظ بها لعدم حاجتهم إليها ما حدثني به بعض الزملاء أنه بعث لفضيلته كتاباً ليقرأه ويكتب له تقريظاً، قال: فقرأه، وبعث إلي بمذكرتين تتعلقان بموضوع الكتاب؛ كتبهما بعض أعضاء القسم، وقد مضى على كتابتهما ما يزيد على عشرين سنة، ولا يزال الشيخ محتفظاً بهما مع أنهما ليستا من تأليفه.

وإذا كان هذا صنيعه مع مذكرات غيره، وصنيعه مع أوراق تُعد في نظر غيره غير مهمة، فصنيعه مع الكتب وعنايته بجمعها والاحتفاظ بها أشد.

وعوداً إلى محاضرة: "من مذكرات البحث العلمي"، فقد أبرزت جانباً مهماً في حرص الشيخ ودقته في التوثيق العلمي حيث لم يرتض النقل من مرجع مساعد مع وجود الكتاب الأصل، لكنّ الوصول إليه صعب؛ بسبب سحبه من الأسواق والمكتبات، وقد اضطره ذلك للسفر والعناء للحصول عليه، حيث لم يجد منه إلا نسخة وحيدة في المطبعة التي طبعت الكتاب[(١)].

وفي جانب ذي صلة تتجلى فائدة هذه المحاضرة للباحثين في أنها تعطيهم توجيهات وإرشادات مهمة في طريقة البحث العلمي، فالمحاضرة تدور على محاور ثلاثة، سماها المحاضر الميمات الثلاث: المبادرة، والمداومة، والمساءلة، وقد عرض تجربته في بحثه في ضوء هذه المحاور من حين كونه فكرة بحثية ومراحل إعداد الخطة، ثم تقديمها للمجالس العلمية، وما بعد ذلك من جمع المادة العلمية والمراجع، ثم صياغة البحث وتقديمه

(١) يرجع للمحاضرة وقصته الماتعة مع كتاب الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد أبي زيد الدمنهوري.

للمناقشة، كما تشتمل المحاضرة على أدب التعامل مع المشرف على الرسالة، وفيها وصف لما كانت عليه مناقشة الرسائل في تلك الفترة.

وفي الجملة فهذه المحاضرة لا يستغني عنها الباحث، لأنها خلاصة تجربة، وهي حافلة بكثير من التوجيهات العلمية والأكاديمية لطلاب الدراسات العليا والباحثين.

ومن نصائحه وتوجيهاته ما يتصل بالنشر العلمي، فلشيخنا توصيات لزملائه وطلابه فيما يتعلق بنشر بحوثهم، وقد سمعته أكثر من مرة يوصيهم بنشر بحوثهم في المجلات العلمية المعتبرة؛ ذات المصداقية في تحكيم البحوث التي ترد إليها، والبعد عن المجلات التي لا تعتني بالتحكيم العلمي، ولا تقوم بفحص دقيق لما يرد إليها من بحوث.

خامساً: مساعدة الباحثين في مهامهم العلمية والبحثية.

شيخنا متعدد المواهب، فمع أخذه بنصيب علمي وافر إلا أنه لم يقتصر عليه، وإنما هو ملم بالأنظمة واللوائح والأعراف الأكاديمية؛ نظراً للخبرة الأكاديمية المتراكمة سنين عديدة.

ومشاركته في كثير من المجالس العلمية مكنته من الاطلاع على كثير من اللوائح والأنظمة الأكاديمية، ولهذا كله فإنه يُعد مرجعاً أكاديمياً معتبراً لكثير من المتخصصين، يجدون عنده بغيتهم.

ونظراً لكثرة مشاركة الدكتور وحضوره لكثير من الملتقيات والندوات والمؤتمرات الداخلية والخارجية، فإنه – أيضاً - يُعد مرجعاً معتبراً للراغبين في المشاركات وتقديم الأوراق العلمية، بل يتعدى الأمر ذلك إلى كيفية التنسيق والحجز، وقد وقع لي مع بعض الزملاء في إحدى الرحلات العلمية أن أشكلت علينا بعض الأمور مما يتصل بالسكن والمواصلات ونحوها مما يقع لكثير من المسافرين، فنتصل بالشيخ فنجد عنده الحل.

وبالجملة فمرافقة فضيلته إلى أحد المؤتمرات ممتعة ومفيدة في كيفية التعامل مع المؤتمرات ومنظميها.

ومن خلال ما سبق أرى أن شيخنا أفاد المتخصصين من نواح ثلاث:

- الناحية العلمية، وهذه أهمها.
- الناحية الأكاديمية والإدارية.
- مساعدة الباحثين في مهامهم العلمية والبحثية عند زيارتهم لبعض الدول.

وقد ودعنا شيخنا العام الماضي رغم إلحاح زملائه وتلاميذه على بقائه؛ غير أنه آثر التفرغ لشؤونه، وقد علقتُ على ذلك في حينه - مع رغبتي الشديدة في بقائه - بأن فضيلته ودع مرحلة واستقبل أخرى، وهو لا يزال قادراً على البذل والعطاء، وهو مثل الغيث حيثما وقع نفع، أسأل الله أن يبارك في عمره وعلمه وعمله، وأن يشملنا وإياه بعفوه وفضله ورحمته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

جوانب من التربية العلمية
عند السيد الوالد

إعداد

د. هيثم بن فهد الرومي

جامعة الملك سعود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد روى الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخ دمشق بإسناده إلى سفيان، قال: سمعت سليمان الأحول يقول: لقيت عكرمة ومعه ابن له، فقلت له: أيحفظ هذا من حديثك شيئًا؟ فقال: إنه يقال: إن أزهد الناس في العالم أهله. وروي مثله عن عروة بن الزبير وعون بن عبدالله رحمهم الله تعالى.

فإن كان ما روي كذلك فإن ذلك إنما يقال في سياقه، فقد حفظ لنا تاريخ العلم أن كثيرًا من الأبناء إنما انشغلوا بالعلم اقتداءً بآبائهم وكبرائهم، وقد ألف العلماء قديمًا وحديثًا فيما سموه بيوتات العلم، ومن خير أنواع التربية وأحسنها أثرًا التربية بالقدوة، فإن من طبيعة الإنسان أن يتأثر بالأخلاق التي يراها متمثلة فيمن حوله أشد من تأثره بها وهي حديث مجرد.

وإن من التحدث بنعمة الله تعالى على والدي أن الله تعالى منَّ على أهل بيته بالاقتداء به في الاشتغال بالعلم، فكثير منهم له مكتبته الخاصة فمنها الكبير ومنها الصغير، كما أن ستة من أبنائه وبناته حاصلون على الشهادات الجامعية العليا أو التحقوا بها، سواء في علوم الشريعة أو غيرها، ومع أن العلم لم يكن يومًا من الأيام منوطًا بأشكال ورسوم، غير أن اقتداء أهل البيت بكبيرهم له دلالته ووهجه في الأثر العلمي.

ومن طريف ما أذكره في هذا السياق أني قبل سنوات طويلة طالعت مذكرة أعدها أحد أساتذة الدراسات القرآنية في التفسير الموضوعي، وضم إليها أشتاتا من الموضوعات مما استله من بعض الكتب والبحوث، فطالعت فيما استله موضوعا عن الصلاة

وفضائلها، فراق لي الحديث وأخذني بجمال عرضه وبيانه، حتى هممت أن أسأل ذلك الأستاذ عن الكتاب الذي استفاد منه إذ لم يكن اسمه مرفقا في المذكرة، حتى انقدح في ذهني أنه ربما كان كتاب سيدي الوالد الذي وسمه بـ(الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها) فخجلت أن أسأل ذلك الأستاذ قبل أن أتأكد، فإذا به هو ذلك الكتاب التي استلت منه المصورات، فكان من أثر ذلك أن عدت على ذلك الكتاب وسائر كتب السيد الوالد بالمطالعة راجيًا ألا تشملني تلك المقالة الذائعة.

ثم أما بعد.. ففي هذه الورقات حديث الابن عن أبيه، وما عسى أن يكون حديث الابن عن أبيه؟ ثم ما عسى أن يكون حديثه عن أبيه إن كان هذا الابن درج ونشأ وذلك الأب في مخيلته لا يشبه آباء أقرانه ولداته، فكان ينقل بصره بين صورة أبيه وهو معتكف في محراب مكتبته وصورة غيره فيردد في نفسه قول مهيار الذي كان يحفظه منذ الصغر (أين في الناس أب مثل أبي)؟

إن حديث الابن عن أبيه محفوف بخطرين كلاهما من العقوق: خطر العقوق إن هو ذكر بعض ما يعرفه عن أبيه من خبيئات الأعمال مما لا يعلم أبوه أنه يعرفه ومما قد لا يجب أن يذكر، كما هو محفوف بخطر العقوق إن هو قصر في ذكر ما يعرفه، فهو كاللاعب أبدا على الحبال يحاذر السقوط ذات اليمين وذات الشمال. فعسى ربي أن يهديني سواء السبيل.

ثم إن الحديث عن سيدي الوالد لما كان حديثًا طويل الذيول متشعب المجالات، فقد رأيت من المناسب إذ كان الحديث مقصودًا به من هم مشتغلون بالهم العلمي والبحث العلمي أن أسجل ما هو من هذا القبيل، وإن عرجت على غيره فهو من المرقاة إليه.

وقد جعلت مدار هذا الحديث على خصال خمس، رأيتها متمثلة في السيد الوالد، فأذكرها وأذكر بعض الشواهد عليها، وهي كالآتي:

١- الحرص على العلم والتعلم والتعليم:

وهذا أمر لم أفتح عيني إلا عليه، فصورة السيد الوالد في مخيلتي هي صورة العاكف في مكتبته بين كتبه وأوراقه وأقلامه، مُكِبًّا عليها قارئًا وكاتبًا ومُصَحِّحًا.

ومما عهدته عنه أنه في أحوال كثيرة لم يكن ممن يقدم المعلومة لأولاده جاهزة، بل يدفعنا إلى التفكير فيها وسؤالنا عنها، ولولا خشية الإطالة لذكرت أمثلة ربما لا يعرف الوالد أنها ما تزال محفورة في الذاكرة حتى الآن.

ولا أزال أذكر تلك المسابقة التي تقدمت للمشاركة فيها وأنا في السنة الأولى من المرحلة المتوسطة، ولما عدت إلى المنزل ومعي ورقة المسابقة وسألت الوالد عنها ما زاد على أن قال لي: ستجد الأجوبة في كتاب في هذه الناحية، فبحثت عنه حتى وجدته ثم بحثت عن الأجوبة حتى وجدتها، وقد تكرر ذلك غير مرة، وما تزال تلك الأسئلة بأجوبتها عالقة في الذهن إلى اليوم.

أما عند الاصطحاب إلى المكتبات ومعارض الكتب في الإقامة والسفر فكان الوالد السعيد يختار لنا طريقًا وسطًا بين حرية الاختيار وحسن التوجيه، غير أن القاسم المشترك في ذلك هو التربية على إلف الكتب ومحبتها وعدم الاستيحاش منها أو استثقالها.

٢- العطاء العلمي:

روى أبو خيثمة في كتاب العلم بإسناده إلى الربيع بن أنس قال: مكتوب في الكتاب الأول: ابنَ آدم، علِّم مجَّانًا كما عُلِّمتَ مجَّانًا!

وقد أفاض العلماء في الحديث عن بذل العلم والحرص على طلبته تعليمًا وتفهيمًا. قال سفيان الثوري: لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم.

وهذه الخصلة من الخصال التي لا أحصي أمثلتها مما أعلمه عن سيدي الوالد فضلاً عما لا أعلمه وهو أكثر.

وسأضرب لذلك من الأمثلة نوعين:

فأما النوع الأول فهو استقبال السيد الوالد للاتصالات الهاتفية ليلاً ونهارًا من سائل عن معلومة أو كتاب، ومستشير في بحث أو دراسة. وربما طالت المكالمة المدة الطويلة فأرى من صبر الوالد وحرصه على إفهام العلم صنيعًا يذكرني بقول الإمام الشافعي لتلميذه الربيع بن سليمان: ياربيع، لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه.

وتذكر لي إحدى أخواتي أن معلماتها كن يحملنها برسائل الأسئلة والاستفسارات فكان يجيبهن في ذلك كله، مع ما كان منشغلاً به من بحوثه، وإشرافه ومناقشته للرسائل الكثيرة.

وأما النوع الثاني فتوزيع السيد الوالد وإهداؤه مؤلفاتِه وبحوثَه للقريب والبعيد، وقد كان الوالد إذا أصدر كتابًا أهدى النسخ إلى من حوله من أقاربه وأصدقائه وزملائه ومعارفه، الكبير منهم والصغير، وحمَّلنا بنسخ منه إلى أساتذتنا ممن يعرف وممن لا يعرف، وقد كان لذلك أثره الذي كنت أتلمسه فيما أرى وأسمع من أساتذتي وزملائي، حتى كان بعض الأصدقاء إذا نفدت النسخ يطلب مني نسخة فيقرؤها ويحدثني عنها ونحن بعد في المرحلة المتوسطة والثانوية، وربما عقد عليها الأساتذة المسابقات ووضعوا الجوائز.

وهكذا العلم إذا فشا نفع بإذن الله وآتى أكله، فإن من الناس من يذهل عن قصد العلم حتى إذا بلغه العلم حيث هو انتفع ونفع.

وتحدثني غير واحدة من أخواتي كذلك أن الوالد كان يحملها بنسخ من مؤلفاته لتوزيعها على معلماتهن وزميلاتهن بطلب منهم وبغير طلب.

كما كان الوالد يحمل معه نسخًا من كتبه في أسفاره داخل البلاد وخارجها للتوزيع والإهداء، ويبعث بها على نفقته إلى من يسأله أحد مؤلفاته في المشرق أو المغرب.

٣- الإحسان العلمي:

وهذه الخصلة تتمة لسابقتها ومكملة لها، فالإحسان رتبة هي أعلى المراتب، وهي فوق العطاء، فقد يعطي العطاء من لا يكون محسنًا فيه، كمن يعطي بوجه منقبض، أو على كره ومضض، أو يتبع عطاءه بالمن والأذى، أو ينقص بأية حال عن وجوه الإحسان والتفضل.

ومن وجوه الإحسان في العلم حسن مجالسة المتعلم، والبشاشة في وجهه، وتعاهد حوائجه، وحسن الاستيثاق من فهمه. وقد قيل لابن عباس ﵁: من أكرم الناس؟ قال: جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إلي، لو استطعت ألا يقع الذباب على وجهه لفعلت.

وقد عاينت من إحسان السيد الوالد إلى المتعلمين والباحثين ما رأيت أثره فيهم من الذكر الحسن والثناء الجميل، وكنت ربما لقيت بعض من لا أعرفه من أهل العلم والفضل من داخل البلاد وخارجها فأعرفهم بنفسي فيهشون لي بها لوالدي في نفوسهم من الأثر والذكرى الطيبة. وسأذكر لذلك ثلاثة أنواع من الأمثلة يلمح قليلها إلى كثيرها.

فأما النوع الأول فأن السيد الوالد كان كثيرًا ما يحزم حقائب السفر لأجل لقاء من هم تحت إشرافه، لا سيما من الطالبات اللواتي ربما تقل حيلتهن في إيصال بحوثهن -قبل أزمنة شبكة المعلومات-، فيستلم البحوث ويعلق عليها ويعيدها إلى أصحابها.

وأما النوع الثاني فإعارة الكتب، وما أدراك ما إعارة الكتب؟ وللناس في ذلك مذاهب شتى، وتفاوتهم فيه تفاوت بيِّن. والذي أعلمه عن الوالد السعيد أنه لا يرد أحدًا سأله إعارة كتاب، وربما كان هذا الكتاب من النوادر أو جزءًا من أجزاء كثيرة يخرم فقده الكتاب، فلا يتردد عن الإعارة، ويحدثنا أن ذلك من بذل العلم وزكاة الكتب، وربما أبطأ المستعير عن رد عاريته، وربما غاب بها في مجاهل النسيان أو الإهمال، ولم يكن ذلك مانعًا للوالد من المضي في عادته في الإعارة، بل ربما كان لا يعرف المستعير ولا يمت إليه بسبب، فلا يمنعه ذلك أن يدفع إليه بما سأل من الكتب.

وأما النوع الثالث فتواصله المستمر مع طلابه وطلاب العلم عمومًا لا سيما في تخصص العلوم القرآنية ومتابعته لهم، واستقبال مكالماتهم في جميع الأوقات، ومحضهم بالنصيحة في اختيار الموضوعات البحثية والدلالة على مظانها شرقًا وغربًا.

وكان لذلك العطاء وهذا الإحسان أثرهما في نفوس طلابه وغيرهم، وقد رأيت أثر ذلك لما كتب السيد الوالد تغريدة في حسابه في تويتر بتاريخ ٢٣ شعبان ١٤٤٠هـ، الموافق ٢٩ أبريل ٢٠١٩م بمناسبة انتهاء عمله في التدريس الجامعي قائلاً فيها: (بحمد الله ومنته وفضله أنهيت عصر هذا اليوم رصد درجات آخر مقرر قمت بتدريسه هذا الفصل، حيث طلبت إنهاء مرحلة التدريس الجامعي، سائلاً الله أن يجعل ما قدمت خلال العقود الماضية خالصًا لوجهه، وأن يجعله في صحائف عملي شاهدًا لي، وأعتذر لكل من أخطأت أو قصرت في حقه من طلابي، وأسأل الله أن يجمعني بهم في جنته)، فانهالت التعليقات الكثيرة بالثناء والدعاء حتى علَّق بعضهم فقال: (مما رأيت من التعليقات وثنائهم عليك فهم شهداء الله في أرضه تمنيت أن أكون أحد الذين درسوا على يديك).

٤- التواصل العلمي:

يقيض الله تعالى في كل زمان رجالاً ينظمون شرق بلاد المسلمين بغربها، وأحسن ما يكون ذلك إن كان ذلك التواصل بالعلم، فيسهم أولئك في حركة العلم ونشره وتواصل أهله، وتعريف بعضهم ببعض، وقد كانت الرحلة في طلب العلم ونشره والتواصل مع أهله من هدي المسلمين القديم، وتراجم أهل العلم ملأى بذكر ارتحالهم في طلب العلم وبثه، وألف العلماء في ذلك المصنفات المشهورة.

ومن يعرف السيد الوالد يعرف أنه حظي من ذلك بنصيب وافر، فقد ارتحل كثيرًا وطوَّف بلادًا كثيرة منذ بحوثه الأولى في الدراسات العليا إلى الندوات والمؤتمرات الكثيرة التي شارك فيها، إلى غير ذلك من وجوه التواصل والمشاركة العلمية.

ومعارفه من أهل العلم في البلدان العربية وغيرها لا يحصون كثرة، وبينه وبينهم تواصل دائم، وله في تلك البلاد بحمد الله الذكر الحسن، حتى كان وجهة لقاصدي هذا البلد أو ذاك لأجل الأغراض العلمية والبحثية.

وقد كنت ربما قصدت ناحية ألتمس فيها غرضًا بحثيًا أو علميًا فربما انسد علي بابه، ثم ما ألبث أن أتوصل إلى تلك الخزائن المغلقة باسم الوالد السعيد، فيعود الصعب سهلاً والطريق الوعر جادة موطَّأة.

٥- التواضع العلمي:

روى الحافظ البيهقي بإسناده إلى الفاروق رضي الله عنه قال: (تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن يعلمكم، وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا من جباري العلماء، فلا يقوم علمكم مع جهلكم)، وروى الخطيب بإسناده إلى عروة بن الزبير قال: (مكتوب في الحكمة: ليكن وجهك بسطًا وكلمتك طيبة تكن أحب إلى

الناس من الذي يعطيهم العطاء)، وقال الفضيل بن عياض: (إن الله تعالى يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار، ومن تواضع لله ورثه الله الحكمة).

ولم يزل التواضع للعلم وبالعلم من أخلاق الكبار، فالعلم يورث في نفس صاحبه الإخبات ويكشف له أن ما لا يعلمه لا يقوم بما يعلمه، فلا يطغيه علمه ولا يورثه الجبروت على غيره ولو كانوا من تلامذته.

وأما الوالد السعيد فما رأيته قط إلا متواضعًا للعلم وأهله وطلبته كبيرهم وصغيرهم، باذلاً لهم من وقته وعلمه ونصحه مع سهولة في الطبع وبشاشة في الوجه ودعابة تكسر من خجل الغريب وهيبة صاحب الحاجة. وما أكثر ما رأيت منه ما يدفع كثيرًا ممن يتواضع لهم إلى الحياء وربما كان بعضهم في سن أبنائه.

وربما جرى في بعض المجالس والمحافل ثناء على الوالد وحديثه وحسن إفادته فيقول لي بعدها: هؤلاء يبالغون ويجاملونني وأنا دون ما يقولون.

ولا أعلمه رد أحدًا سأله شيئًا من كتبه وبحوثه كبيرًا كان أو صغيرًا إلا أن يكون ممن يتنفخ بالكتب ويتخذها زينة لمكتبه أو مجلسه، وقد حدثني بعض إخوتي أن رجلاً ذا منصب كبير سأله كتبًا للوالد فقال له: إن كان ينتفع بها ويستفيد منها فخذ له ما شئت، وإن كان ممن يتجمل بها فغيره أولى بها.

وبعد، فهذه الخصال التي جرى الحديث فيها مما سمحت به هذه العجالة، ولو تجاوزت شرط هذه المقالة أو قصدت إلى الاستقصاء فيها لوجدت مجال القول ذا سعة، ولكن الشأن كما قال الأول: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وأسأل الله تعالى أن يحفظ السيد الوالد ويمتع به أهله وأحبابه وأن يجعله ممن يطول عمره ويحسن عمله، وأن يبارك له في علمه وعمله وأهله وماله وولده، والحمد لله أولاً وآخرًا.

القسم الثاني

البحوث المهداة

للأستاذ الدكتور:

فهد بن عبدالرحمن الرومي

قراءة نقدية لأنواع علوم القرآن
في كتاب الإتقان في علوم القرآن

إعداد

أ. د. مساعد بن سليمان الطيار

الأستاذ بجامعة الملك سعود

الحمد لله المنان الكريم، أعطى فأجزل، ويسَّر ووهب فأكمل، وأصلي وأسلم على رسول الله أكمل الخلق وأشرفهم، معلم الناس الخير، وهاديهم إلى جنة الخلد.

أما بعد: فبعد إتمامي التعليق الثاني على كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، رأيت أن أكتب (قراءة نقدية أنواع علوم القرآن في كتاب الإتقان في علوم القرآن) أبين فيها عن مجموعة من المعلومات المتعلقة بعلوم القرآن عمومًا، وبعلوم القرآن عند السيوطي خصوصًا، وجعلتها على فصول:

الفصل الأول: علوم القرآن قبل السيوطي.

الفصل الثاني: علوم القرآن في مؤلفات السيوطي.

الفصل الثالث: علوم القرآن في الإتقان.

الفصل الرابع: إضافات مهمة على عمل السيوطي في الإتقان

وأسال الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول
علوم القرآن قبل السيوطي

إن البحث عن (علوم القرآن) قبل وضع الزركشي (ت: ٧٩٤) لكتابه (البرهان في علوم القرآن) أمر عسير من جهات:

الأولى: جهة المصطلح.

والثانية: من جهة شمول الكتب السابقة لأنواع علوم القرآن.

والثالثة: الوصف؛ أي: وصف العالِمِ بأنه متخصص بعلوم القرآن.

أما الجهة الأولى، فإنه لا يوجد ما يدل على عناية المتقدمين بذكر المراد بعلوم القرآن، بل نجد هذا المصطلح يدور في كتبهم في بعض كتب التفسير وعناوينها، أو في بعض كتب القراءات، أو في كتب التراجم حينما يصفون بعض الأعلام بأنه كان عالمًا بعلوم القرآن[(١)].

وأما الجهة الثانية، فإن الكتب التي صُنِّفت في بعض أنواع علوم القرآن، ولم يُرِد مؤلفوها الشمول فيها، فإنها تنقسم من جهة العناوين إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون العنوان لا يحمل مصطلح (علوم القرآن) أو ما يشابهه، مثل: كتاب (فهم القرآن) للحارث المحاسبي (ت: ٢٤١) الذي يحتوي على مادة في علوم القرآن؛ سواء في عناوينه أو في مسائله أو في ثناياه.

(١) انظر: علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه لمساعد الطيار (ص: ٨٢-٨٤).

والقسم الثاني: أن يحمل عنوانه مصطلح (علوم القرآن) أو ما يشابهه، مثل: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي (ت: ٥٩٧)، قال: «لما أَلَّفتُ كتابَ "التلقيح في غرائب علوم الحديث " رأيتُ أن تأليف كتاب في عجائب علوم القرآن أولى، فشرعتُ في سؤال التوفيق قبل شروعي، وابتهجت بما أُلهمته وأُلقي في رُوعي، وها أنا أُراعي عرفان المنن، ومَنْ راعى رُوعي»[(١)].

كتب التفسير ومصطلح علوم القرآن:

وأما ما كان كتاب تفسير للقرآن من أول الفاتحة إلى الناس، فإما أن يحمل في عنوانه (علوم القرآن) أو أحد مرادفاتها، وإما أن لا يحمله.

وكتب التفسير التي تحمل في عنوانها (علوم القرآن) أو أحد مرادفاته لا تخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون العنوان مشتملاً على (علوم القرآن) أو أحد مرادفاته، ويكون الكتاب تفسيرًا خالصًا، وهذا لا يخلو من حالين أيضًا:

- **أولا:** أن يكون الكتاب مقسَّمًا على بعض أنواع علوم القرآن، وذلك مثل كتاب (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوى (ت: ٤٤٠)، وقد قال في مقدمته: «وأنا مبتدئ إن شاء الله في نظم هذا (المختصر) الصغير، ومجتهد أن أجمع فيه جميع أغراض (الجامع الكبير) من الأحكام المجملة، والآيات المنسوخة، وأحكامها المهملة، والقراءات المعهودة المستعملة، والتفسير والغريب والمشكل والإعراب والمواعظ والأمثال والآداب،

(١) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن (ص: ١٤١).

وما تعلق بذلك من سائر علوم التنزيل المحتملة للتأويل... »[1]، ثم قال: «وأجعل ترتيب السور مفصلاً، ليكون أقرب متناولاً، فأقول: القول من أول سورة كذا إلى موضع كذا منها، فأجمع من آيِهَا عشرين آية أو نحوها، بقدر طول الآية وقصرها.

ثم أقول الأحكام والنسخ وأذكرهما.

ثم أقول التفسير فأذكره.

ثم أقول القراءات فأذكرها.

ثم أقول الإعراب فأذكره.

ثم أذكر الجزء الذي يليه حتى آتي على آخر الكتاب إن شاء الله على ما شرطته فيه، وأذكر في آخر كل سورة موضع نزولها، واختلاف أهل الأمصار في عددها، وأستغني عن تسمية رؤوس آيها، وأبلغ غاية الجهد في التقريب والقصد ... »[2].

- **ثانيا**: أن يكون في العنوان مصطلح (علوم القرآن) أو أحد مرادفاته، ويكون تفسيرًا خالصًا، وذلك مثل: كتاب (الجامع لعلم القرآن) لأبي الحسن الرماني (ت: ٣٨٤).

والحالة الثانية: أن لا يكون العنوان مشتملاً على علوم القرآن أو أحد مرادفاته، وهذا هو أغلب عناوين كتب التفسير، وكتب التفاسير ميدان كبير لذكر تطبيقات علوم القرآن بأنواعها، وكتب التفسير التي لا تحمل مصطلح (علوم القرآن) أو أي مرادف لها، فهي وإن كانت كتب تفسير خالصة؛ إلا أنها لن تخلو من تطبيقاتٍ في أنواع علوم القرآن، وهي على قسمين:

(١) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، تحقيق دار الكمال (١/ ١٠٩).

(٢) المرجع السابق (١ / ١١١).

القسم الأول: أن يذكر المؤلف في مقدمته أن من مقاصد تأليفه للتفسير ذكر أنواعٍ من علوم القرآن، مثل كتاب (الاستغناء في تفسير القرآن)، لمحمد بن علي بن أحمد، المعروف بالأُدْفُوي (ت٣٨٨هـ).

وقد قال في مقدمة كتابه: «هذا كتاب ألَّفناه يجمع **ضروباً من علوم القرآن**، من بين كلام غريب، ومعنى مستغلق، وإعراب مشكل، وتفسير مروي، وقراءة مأثورة، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وأذكر فيه - إن شاء الله - ما بلغني من اختلاف الناس في القراءات، وعدد الآي، والوقف والتمام، وأبيِّن تصريف الكلمة واشتقاقها - إن علمت ذلك - وما فيه من حذف لاختصارٍ، أو إطالة لإفهامٍ، وما فيه تقديم وتأخير.

وإذا مرَّ العامل من عوامل النحو ذكرته مع نظائره في باب أُفرده له، وأذكر أين نزلت السورة بمكة أو بالمدينة، على قدر الطاقة، ومبلغ الرواية، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنياً ... »[(١)].

القسم الثاني: أن لا يذكر من مقاصده ذكر أنواع علوم القرآن، وهذا هو الأغلب في كتب التفسير، ومع ذلك فإنه لا يمكن أن يخلو كتاب تفسير من ذكر بعض مسائل أنواع علوم القرآن من المكي والمدني، وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، وغيرها.

وأما الجهة الثالثة: الوصف؛ أي وصف العالم بأنه عالم في علوم القرآن، أو كتب في علوم القرآن أو غير ذلك، فإن الأمر لا يخرج عن شيئين:

---

(١) مقدمة الاستغناء في تفسير القرآن (ص: ٤٤٢)، من رسالة الأدفوي مفسرًا وتحقيق سورة الفاتحة، للدكتور عبدالله كحيلان، قدمها بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٥).

الأول: أن يكون الوصف من غير مفهوم محدد أو معيار يدل على المراد بعلوم القرآن، فيوصف العالم به دون أن يكون هناك ما يدل على المراد بهذا الوصف.

الثاني: أن يكون هناك معيار لهذا الوصف ويمكن اكتشافه من خلال معرفة آثار العالم، أو أن ينص المترجِم لبعض أنواع علوم القرآن، وهذا قليل جدًا في التراجم.

ومن خلال الآثار قد يطلقونه على العالم بالتفسير، وقد يطلقونه على العالم بالقراءات وعلومها، وقد يطلقونه على العالم بأنواع علوم القرآن من التفسير والقراءات وغيرها من علوم القرآن، ومن أمثلة ذلك:

١- ترجمة مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي المقرئ (ت: ٤٣٧): «قال صاحبه أبو عمر أحمد بن محمد بن مهدي المقرئ[(١)]: كان نفعه الله من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنا لذلك، مجودا للقراءات السبع، عالما بمعانيها»[(٢)]. ومكي ممن كتب في التفسير وفي علوم الإقراء.

٢- جاء في وفيات سنة ٤٨٤ من كتاب العبر للذهبي: «... وأبو نصر الكركانجي، محمد بن أحمد بن علي، شيخ المقرئين لمرو، ومسند الآفاق، في ذي الحجة، وله أربع وتسعون سنة، وكان إماماً في علوم القرآن، كثير التصانيف، متين الديانة، انتهى إليه على الإسناد. قرأ ببغداد على أبي الحسن الحَمَّامي، وبحرَّان على الشريف

---

(١) قال ابن الجزري: «أحمد بن محمد بن خالد بن مهدي أبو عمر القرطبي إمام عارف، قرأ على مكي بن أبي طالب وأكثر عنه وأبي المطرف القنازعي، توفي عاشر القعدة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة» غاية النهاية (١/ ١١٣).

(٢) الصلة لابن بشكوال (ص: ٥٩٧).

الزيدي، وبمصر على إسماعيل بن عمر الحداد، وبدمشق والموصل وخراسان»[(١)].

٣- وفي ترجمة إسماعيل بْن أَحْمَد بْن عَبْد اللهَّ أَبُو عَبْد الرحمن الحِيريّ، النَّيْسابوريّ الضّرير (ت: ٤٣٠): «... وقال عبد الغافر: أبو عبد الرحمن الحيري المفسّر المقرئ الزّاهد. أحد أئمة المسلمين؛ كان من العلماء العالمين. له التّصانيف المشهورة في علوم القرآن، والقراءات»[(٢)].

ويندر أن يرد في التراجم تفصيل لمفهوم (علوم القرآن)، ومما ورد في ذلك:

أ- ترجمة أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى، أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي المقرئ، (ت: ٤٢٩): «وكان: أحد الأئمة في علم القرآن العظيم: قراءته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه، ومعانيه»[(٣)].

ب- ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغاني المقرىء، يكنى: أبا العباس: «وكان: من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى، وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه. وله كتابٌ حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب مالك رحمه الله»[(٤)].

ومن خلال الاطلاع على استخدام مصطلح (علوم القرآن) في كتب التراجم وغيرها يظهر أنه معروف مستخدم، وإن لم يمكننا معرفة حدوده والمراد به على وجه الدقَّة.

(١) العبر في خبر من غبر (٢/ ٣٤٨)

(٢) تاريخ الإسلام (٢٩/ ١٥١).

(٣) الصلة لابن بشكوال (ص: ٤٩).

(٤) المرجع السابق (ص: ٨٧)

الفصل الثاني
علوم القرآن في مؤلفات السيوطي

مما رزق اللهُ السيوطيَّ كثرة التأليف، بل إنه بدأ التأليف، وهو دون سن العشرين، ثم انقطع وهو في سن الأربعين عن المناصب والمشاغل وتفرغ للعلم والتأليف.

وسيكون الحديث هنا عن الكتب التي جمع فيها أنواع علوم القرآن دون سواها مما أفرده في بعض الأنواع؛ كالدر المنثور في التفسير المأثور، ولباب النقول في أسباب النزول، والمعرَّب، وغيرها.

وقد كتب السيوطي في أنواع علوم القرآن أربعة كتب:

١- النُّقاية مع شرحه.

٢- التحبير في علوم التفسير.

٣- الإتقان في علوم القرآن.

٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن[(١)].

(١) يقول الدكتور فتحي عبد القادر فريد: «وهناك للسيوطي كتاب ثالث مطبوع في علوم القرآن غير الكتابين السابقين: التحبير والإتقان، وهو كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، وقد أفرده للحديث عن إعجاز القرآن في خمسة وثلاثين وجهًا، وقد اشتمل على كثير مما جاء في الكتابين السابقين؛ لذا انتفعنا به مع الإتقان في كثير من مراجعة الموضوعات الغامضة والمجملة» مقدمة محقق التحبير في علوم التفسير (ص: ١٣).

ويظهر من خلال كتاب (التحبير في علوم التفسير)، وكتاب (النقاية) وشرحه (إتمام الدراية لقراء النُّقَاية) أمران:

الأول: أنه لم يخرج عن مصطلح التفسير، فإضافاته في هذه الكتب كانت إلى التفسير، ففي التحبير جاء عنوانه (التحبير في علوم التفسير) وفي كتاب النقاية سماه (علم التفسير)، وشرحَ هذا المصطلح، ثم زاد عليه في (إتمام الدراية لقراء النقاية) ما لا يخرج عن ذلك.

ويظهر أن سبب ذلك أنه كان في وقت التقليد واتباع المشايخ، وكان أمامه كتابان أخذ منهما هذه الإضافة:

أولهما: كتاب شيخه الكافيجي (ت: ٨٧٩) الذي قال عن كتابه: «وقد دوَّنت في علوم التفسير كتابًا لم أسبق إليه»[(١)]، وهو يقصد كتابه (التيسير في قواعد علم التفسير).

والمقصود أن السيوطي تأثر بهذه الإضافة في كتاب شيخه (علم التفسير).

ثانيهما: كتاب البلقيني (ت: ٨٢٤) (مواقع العلوم في مواقع النجوم)، قال السيوطي في مقدمة كتابه (التحبير في علم التفسير): «وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير الذي هو كمصطلح الحديث فلم يدونه أحد لا في القديم ولا في الحديث جاء شيخ الإسلام علامة العصر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، فعمل فيه كتابه (مواقع العلوم في مواقع النجوم) ... »[(٢)].

وقد جاء في مقدمته موضعان ملهمان للسيوطي في هذه الإضافة (علوم التفسير)،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، نشرة مجمع الملك فهد للمصحف الشريف (١/ ٥).

(٢) التحبير في علوم التفسير للسيوطي، تحقيق: فتحي عبدالقادر فريد (ص: ٢٨)

وهما قول البلقيني: «وقد اقتفيت آثار العلماء في جمع تفسير عن إلقاء الدروس»[1]، فالمقصود من تأليف الكتاب أن يكون مقدمة لتفسيره، كما سيأتي تصريحه بذلك في الفقرة الآتية.

وقوله: «قد اشتهرت عن الإمام الشافعي ﷺ مخاطبة لبعض خلفاء بني العباس فيها ذكر بعض أنواع القرآن يحصل منها لمقصدنا الاقتباس وقد صنف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث وتلك الأنواع في سنده دون متنه وفي مسنديه وأهل فنه وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف، وأجعل ذلك مقدمة للتفسير»[2].

فالتفسير هو المقصود بهذا التأليف كما هو ظاهر من كلام البلقيني، ولم يكن لمصطلح (علوم القرآن) وجود في كلامه سوى إشارته بالعطف في قوله: «وعلومه كاملة»، أي: علوم القرآن.

والسيوطي قد سمى العلم الثاني من علوم كتابه (النقاية) علمَ التفسير، وقال في أوله: «علم التفسير علم يُبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز، وينحصر في مقدمة وخمسة وخمسين نوعًا»[3].

وفي إتمام الدراية شرح هذا الكلام، وبين أثر كتاب البلقيني، فقال: «علم يبْحَث فِيهِ أَحْوَال الْكتاب الْعَزِيز من جِهَة نُزُوله وَسَنَده وآدابه وَأَلْفَاظه ومعانيه الْمُتَعَلّقَة بألفاظه

(١) مواقع العلوم في مواقع النجوم تحقيق: نبيل صابري (ص: ١٧٣).

(٢) مواقع العلوم في مواقع النجوم تحقيق: نبيل صابري (ص: ١٧٥-١٧٦).

(٣) إتمام الدراية لقراء النقاية (ص: ١٨٨).

والمتعلقة بِالْأَحْكَامِ وَغير ذَلِك وَهُوَ علم نَفِيس لم أَقف على تأليف فِيهِ لَاحَدً من الْمُتَقَدِّمين حَتَّى جَاءَ شيخ الْإِسْلَام جلال الدّين الْبُلْقِينِيّ فدونه ونقحه وهذبه ورتبه فِي كتاب سَمَّاهُ (مواقع الْعُلُوم من[1] مواقع النُّجُوم) فَأتى بالعجب العجاب وَجعله خمسين نوعا على نمط أَنْوَاع عُلُوم الحَدِيث وقد استدركت عليه من الأنواع ضعف ما ذكره وتتبعت أشياء متعلقة بالأنواع التي ذكرها مما أهمله وأودعتها كتابا سميته (التحبير في علم التفسير) وصدرته بمقدمة فيها حدود مهمة ونقلت فيها حدود كثيرة للتفسير ليس هذا موضع بسطها فكان ابتداء استنباط هذا العلم من البلقيني وتمامه على يدي، وهكذا كل مستنبط يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر»[2].

الثاني: أن بداية السيوطي في الأنواع من كتاب (مواقع العلوم في مواقع النجوم) للبلقيني (ت: ٨٢٤)، وقد ظهر أثره في كتابه (النقاية)، وفي شرحه (إتمام الدراية)، وفي كتابه (التحبير في علم التفسير)، ثم أضاف إليه في (الإتقان في علوم القرآن) ما ذكره الزركشي في (البرهان في علوم القرآن).

ففي النقاية وشرحها لم يخرج عن ما كتبه البلقيني، بل كان متابعًا له مختصرًا لكتابه، وإن تصرف في دمج نوعين في نوع وفكِّ أنواع جعلها البلقيني نوعًا واحدًا، فما كان عند البلقيني في اثنين وخمسين علمًا صار عن السيوطي في النقاية في خمسة وخمسين علمًا[3].

وفي (التحبير في علوم التفسير) جعل كتاب البلقيني أصلاً وزاد عليه.

(١) سماه السيوطي هكذا، ويظهر أن النسخ تعددت في حرف الجر، فبعضها (في)، وبعضها (من).

(٢) إتمام الدراية لقراء النقاية (ص: ٢٠-٢١).

(٣) انظر في ذلك كلام الباحث نبيل صابري في تحقيقه لكتاب مواقع العلوم في مواقع النجوم للبلقيني (ص: ٢٢٣- ٢٢٤).

وفي الإتقان تأثر بالزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، وأضاف أنواع علوم القرآن التي ذكرها الزركشي، ولم يذكرها البلقيني.

التحول من مصطلح (علوم التفسير) إلى مصطلح (علوم القرآن):

السيوطي قبل كتاب (الإتقان في علوم القرآن) لم يخرج عن مصطلح (علم التفسير) أو (علوم التفسير)، ثم نجده سمَّى كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، وترك مصطلح (علوم التفسير)، فما الذي طرأ عليه حتى ترك هذا إلى ذاك؟

الذي ظهر لي ـ بعد تأمل ونظر في هذا الأمر ـ أن كتاب الزركشي (ت: ٧٩٤) كان هو السبب في الانتقال من مصطلح (علم التفسير) إلى مصطلح (عوم القرآن).

فالسيوطي كان محاطًا بهذا المصطلح كما سبق بيانه، ثم فكَّر بعد كتابته لكتاب (التحبير في علم التفسير) أن يعمل كتابًا جامعًا يجمع فيه (علوم التفسير)، ويكون أوسع من كتاب (التحبير).

قال: «وهذا آخر ما ذكرته في خطبة: "التحبير " وقد تم هذا الكتاب ولله الحمد من سنة اثنتين وسبعين وكتبه من هو في طبقة أشياخي من أولي التحقيق ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتابا مبسوطا ومجموعا مضبوطا أسلك فيه طريق الإحصاء وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء»[(١)].

وفي أثناء هذا التفكير في هذا العمل الخطير ظهر له كتاب الزركشي (البرهان في علوم القرآن)، فكان – فيما ظهر لي – سبب عدوله إلى مصطلح (علوم القرآن)، بل كان للكتاب أثر بالغ في كتاب الإتقان، وذلك ما نصَّ عليه السيوطي في قوله: «وأنا أظن أني

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١-١٢).

متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك، فبينا أنا أجيل في ذلك فكرا أقدم رجلا وأؤخر أخرى إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتابا في ذلك حافلا يسمى: (البرهان في علوم القرآن)، فتطلبته حتى وقفت عليه، فوجدته قال في خطبته ... »[(١)]، ثم قال - بعد أن نقل خطبة كتاب (البرهان في علوم القرآن) -: «ولما وقفت على هذا الكتاب؛ ازددت به سرورًا، وحمدت الله كثيرًا، وقوي العزم على إبراز ما أضمرته، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان، الكثير الفوائد والإتقان، ورتبت أنواعه ترتيبا أنسب من ترتيب (البرهان)، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقه أن يُبَان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ما يشنف الآذان، وسميته بـ(الإتقان في علوم القرآن)... »[(٢)].

وهذا النص يُظهر أن السيوطي احتفل بكتاب البرهان، وعمل كتابه عليه، ووازنه به، وتناسى ما كان كتبه هو في كتابه (التحبير في علم التفسير)، أو ما كتبه البلقيني في (مواقع العلوم في مواقع النجوم)، ولا يعني هذا أنه لم يستفد منهما، وإنما المراد أنه جعل كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي أصلاً ينطلق منه، كما جعل (مواقع العلوم في مواقع النجوم) أصلاً انطلق منه في كتابته لكتاب (التحبير في علم التفسير).

وبهذا يظهر أثر من آثار كتاب الزركشي على السيوطي، وذلك في العنوان، والأخذ بمصطلح (علوم القرآن) الذي لم يكن حاضرًا في ذهنه قبل كتاب الزركشي، والله أعلم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٢).

(٢) المرجع السابق(١/ ١٤-١٥).

عجيبة:

كما يظهر أن كتاب الزركشي (البرهان في علوم القرآن) قد قضى على التفرد الذي كان يريد السيوطي أن يحصل عليه في مشروعه الذي بدأ يخطط له، ولما اطلع على كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ظهر له وبان أنه مسبوق، ولم يتفرد كما قال هو: « وأنا أظن أني متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك فبينا أنا أجيل في ذلك فكرا أقدم رجلا وأؤخر أخرى إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتابا في ذلك حافلا يسمى: (البرهان في علوم القرآن)».

ومع هذا النص الواضح الأبلج من السيوطي بعدم التفرد، إلا أنه لم تسكن نفسه إلا أن يدَّعي التفرد في تأليف (الإتقان في علوم القرآن)، وهذه عجيبة غريبة، وليته لم يفعلها حيث قال: «ذكر أسماء المصنفات التي صنفتها، وهي سبعة أقسام:

القسم الأول: ما أدَّعي فيه التفرد، ومعناه أنه لم يؤلف له نظير في الدنيا فيما علمت، وليس ذلك لعجز المتقدمين عنه، معاذ الله، ولكن لم يتفق أنهم تصدوا لمثله، وأما أهل العصر فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله؛ لما يحتاج إليه من سعة النظر، وكثرة الاطلاع، وملازمة التعب والجد، والذي هو بهذه الصفة من كتبي ثمانية عشر مؤلفًا: الإتقان في علوم القرآن ... »[(١)].

فتراه عدَّ أولها الإتقان، وهو قد نفى عن نفسه التفرد في التصنيف المستقصي لعلوم القرآن، وأنه مسبوق بالزركشي، فما السرُّ في هذا يا ترى؟!

---

(١) التحدث بنعمة الله (ص: ١٠٥).

الفصل الثالث
علوم القرآن في الإتقان

المبحث الأول
أنواع علوم القرآن عند السيوطي

بنى السيوطي كتابه على ثمانين نوعًا، وكان لكتاب الزركشي أثر واضح عليه في عنوانه وفي ترتيبه وتنويعه، ولم يُبدِع السيوطي في الأنواع، فهو مسبوق بالزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) وكتاب (مواقع العلوم في مواقع النجوم)، بل كان الإبداع في التقسيم عند البلقيني، وذلك ما لم يستفد منه السيوطي.

وقد نثر السيوطي الأنواع الثمانين نثرًا، واجتهد أن يضع بعض الأنواع التي تقع تحت نوع كلي متتابعات، وإن لم يكن قد فعل هذا في كل نوع.

فمن النوع الأول إلى النوع السادس عشر تتعلق بمسائل النزول، وجعل ثلاثة أنواع متعلقة بالنزول في مواضع مناسبة لها، وهي كالآتي:

المجموعة الأولى: ما يتعلق بألفاظه من جهة العربية:

السادس والثلاثون: في معرفة غريبه.

السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز.

الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب.

التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر.

الأربعون: في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه.

الثاني والأربعون: في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها.

والمجموعة الثانية: الأسماء الواردة في القرآن وما يتعلق بها:

التاسع والستون: في الأسماء والكنى والألقاب.

السبعون: في مبهماته.

الحادي والسبعون: في أسماء من نزل فيهم القرآن

ولو جعل هذه الأنواع الثلاثة (**السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز. الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب. الحادي والسبعون: في أسماء من نزل فيهم القرآن**) في ما يتعلق بالنزول لكان له وجه؛ لأنها متعلقة بالنزول من وجه، لكنه جعلها في مجموعة متقاربة منها.

ويمكن القول بأن ترتيب السيوطي ـ وإن كان مفرقًا ـ كان ينزع إلى تقسيمات كليَّة ترجع إليها هذه الأنواع في الأعم الأغلب، ويمكن الاجتهاد في معرفة هذه الأنواع الكلية ـ وجعل الأنواع التي ذكرها وفق مجموعات متوافقة تحت هذه العناوين الكلية التي لم يصرح بها، وهذه العناوين الكلية التي ستندرج تحتها الأنواع التفصيلية التي ذكرها السيوطي هي طريقة البُلْقِيني في كتابه (مواقع العلوم من مواقع النجوم).

المجموعة الأولى: ما يتعلق بالنزول:

النوع الأول: معرفة المكي والمدني.

الثاني: معرفة الحضري والسفري.

الثالث: النهاري والليلي.

الرابع: الصيفي والشتائي.

الخامس: الفراشي والنومي.

السادس: الأرضي والسمائي.

السابع: أول ما نزل.

الثامن: آخر ما نزل.

التاسع: أسباب النزول.

العاشر: ما نزل على لسان بعض الصحابة.

الحادي عشر: ما تكرر نزوله.

الثاني عشر: ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه.

الثالث عشر: معرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعا.

الرابع عشر: ما نزل مشيعا وما نزل مفردا.

الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ.

السادس عشر: في كيفية إنزاله.

السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سوره.

المجموعة الثانية: ما يتعلق بتدوينه:

الثامن عشر: في جمعه وترتيبه.

التاسع عشر: في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه.

المجموعة الثالثة: ما يتعلق بروايته:

العشرون: في حفاظه ورواته.

الحادي والعشرون: في العالي والنازل.

الثاني والعشرون: معرفة المتواتر.

الثالث والعشرون في المشهور.

الرابع والعشرون: في الآحاد.

الخامس والعشرون: في الشاذ.

السادس والعشرون: الموضوع.

السابع والعشرون: المدرج.

المجموعة الرابعة: ما يتعلق بأدائه:

الثامن والعشرون: في معرفة الوقف والابتداء.

التاسع والعشرون: في بيان الموصول لفظا المفصول معنى.

الثلاثون: في الإمالة والفتح وما بينهما.

الحادي والثلاثون: في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب.

الثاني والثلاثون: في المد والقصر.

الثالث والثلاثون: في تخفيف الهمزة.

الرابع والثلاثون: في كيفية تحمله.

الخامس والثلاثون: في آداب تلاوته.

المجموعة الخامسة: ما يتعلق بعربيته:

السادس والثلاثون: في معرفة غريبه.

السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز.

الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب.

التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر.

الأربعون: في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه.

الثاني والأربعون: في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها.

المجموعة الخامسة: ما يتعلق بدلالة ألفاظه.

الثالث والأربعون: في المحكم والمتشابه.

الرابع والأربعون: في مقدمه ومؤخره.

الخامس والأربعون: في خاصه وعامه.

السادس والأربعون: في مجمله ومبينه.

السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه.

الثامن والأربعون: في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض.

التاسع والأربعون: في مطلقه ومقيده.

الخمسون: في منطوقه ومفهومه.

المجموعة السادسة: ما يتعلق ببلاغته:

الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته.

الثاني والخمسون: في حقيقته ومجازه.

الثالث والخمسون: في تشبيهه واستعارته.

الرابع والخمسون: في كناياته وتعريضه.

الخامس والخمسون: في الحصر والاختصاص.

السادس والخمسون: في الإيجاز والإطناب.

السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء.

الثامن والخمسون: في بدائع القرآن.

التاسع والخمسون: في فواصل الآي.

المجموعة السابعة: ما يتعلق بعلوم السورة:

الستون: في فواتح السور.

الحادي والستون: في خواتم السور.

الثاني والستون: في مناسبة الآيات والسور.

ثم ذكر نوعين لا يدخلان فيما قبلهما ولا ما بعدهما، وهما:

الثالث والستون: في الآيات المشتبهات.

الرابع والستون: في إعجاز القرآن.

المجموعة الثامنة: ما يتعلق بالعلوم المنبثقة منه:

الخامس والستون: في العلوم المستنبطة من القرآن.

السادس والستون: في أمثاله.

السابع والستون: في أقسامه.

الثامن والستون: في جدله.

المجموعة التاسعة: فيما يتعلق بالأسماء الواردة فيه:

التاسع والستون: في الأسماء والكنى والألقاب.

السبعون: في مبهماته.

الحادي والسبعون: في أسماء من نزل فيهم القرآن.

المجموعة العاشرة: في فضائله:

الثاني والسبعون: في فضائل القرآن.

الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفاضله.

ثم ذكر ثلاثة أنواع لا ترتبط بنوع كليٍّ، وهي:

الرابع والسبعون: في مفردات القرآن.

الخامس والسبعون: في خواصه.

السادس والسبعون: في رسوم الخط وآداب كتابته.

المجموعة الحادية عشر: في ما يتعلق بالتفسير والمفسرين:

السابع والسبعون: في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه.

الثامن والسبعون: في شروط المفسر وآدابه.

التاسع والسبعون: في غرائب التفسير.

الثمانون: في طبقات المفسرين.

وبعض الأنواع قد لا يدخل في المجموعة التي ذكرتها؛ لكن من باب التجاوز والتوسع والتقريب فحسب.

وإنما فعلت ذلك اجتهادًا في معرفة تفكير السيوطي أثناء توزيعه لهذه الأنواع الثمانين، والظاهر أنه كان يسير وفق مجموعات متقاربة، وإن كان بعضها مما يصعب إدراك علاقته بما قبله أو بما بعده كما هو الظاهر من التقسيم الذي ذكرته.

وأيًّا ما كان الأمر، فإن السيوطي لو احتفظ بطريقة البلقيني لأتى بإضافات على البلقيني في التقسيمات الكلية، كما وقع عنده زيادات في التقسيمات التفصيلية.

والسيوطي يرى أن هذه الأنواع يمكن أن تكون أكثر مما عدَّه حتى بلغت عنده

عددًا كبيرًا؛ قال: «فهذه ثمانون نوعا على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة ... »[1].

ولكن هذه الثلاثمئة ليس فيها زيادة أنواع، وإنما فيها زيادة عدد، وتنويع عناوين لا غير، ولعل هذا ما حدا بابن عقيلة المكي أثناء عمله في كتابه (الزيادة والإحسان في علوم القرآن) أن يفصِّل ما أدمجه السيوطي، ويجعل النوع الواحد عند السيوطي عدَّة أنواع، وزاد عليه في العدد حتى بلغت الأنواع عنده (١٥٤ نوعًا).

يقول ابن عقيلة (ت: ١١٥٠): «هذا على سبيل الإدماج والإجمال ولو فصَّلتها لزادت على أربعمئة نوع، وسميته الزيادة والإحسان في علوم القرآن»[2].

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧).

(٢) الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١/ ٨٩).

المبحث الثاني

مفهوم (علوم) عند السيوطي في كتاب الإتقان

سبق التنبيه على أن جماعة ممن أرادوا التأليف في (علوم القرآن) كانوا قد نظَّروه (بعلوم الحديث)، ولو رجعنا إلى الوراء فيما يتعلق بالتأليف في أنواع علوم الحديث، فسنجد أن الحاكم (ت: ٤٠٥) الذي قال في كتابه معرفة أنواع علوم الحديث: «... دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على ذكر أنواع علم الحديث مما يحتاج إليه طلبة الأخبار... »[(١)]، ثم لما بدأ بسردها قال: «ذكر أول نوع من أنواع علم الحديث قال أبو عبد الله: النوع الأول من هذه العلوم معرفة عالي الإسناد، وفي طلب الإسناد العالي سنة صحيحة»[(٢)].

ثم جاء بعده أشهر مؤلف في أنواع علوم الحديث، وهو ابن الصلاح (ت: ٦٤٣) في كتابه المشتهر باسم (مقدمة ابن الصلاح)، قال: «فحين كاد الباحث عن مشكله لا يلفي له كاشفا، والسائل عن علمه لا يلقى به عارفا، منَّ الله الكريم - تبارك وتعالى - عليَّ - وله الحمد أجمعُ - بكتاب معرفة أنواع علم الحديث... »[(٣)]، ثم قال: «وهذه فهرست أنواعه:

فالأول منها: معرفة الصحيح من الحديث.

(١) معرفة علوم الحديث (ص: ٢).

(٢) المرجع السابق (ص: ٥).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص: ٦).

الثاني: معرفة الحسن منه.

الثالث: معرفة الضعيف منه.

الرابع: معرفة المسند.

الخامس: معرفة المتصل.

السادس: معرفة المرفوع... »[(١)] حتى بلغت خمسة وستين نوعًا، ثم بدأ يفصِّل هذه الأنواع بعد سردها، فقال: «النوع الأول من أنواع علوم الحديث: معرفة الصحيح من الحديث»[(٢)].

ولو وازنت بين مقدمة ابن الصلاح لكتابه، ومقدمتي البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي لوجدت تشابهًا فيما بينها فيما يأتي:

١- الاصطلاح على (الأنواع) (أنواع علوم الحديث) (أنواع علوم القرآن).

٢- فهرست الأنواع في المقدمة.

قال ابن الصلاح (ت: ٦٤٣): «وهذه فهرسة أنواعه: الأول منها: معرفة الصحيح من الحديث... »[(٣)]، ثم سرد البقية.

وقال الزركشي (٧٩٤): «وسميته البرهان في علوم القرآن.

هذه فهرست أنواعه: الأول: معرفة سبب النزول... »[(٤)]، ثم سرد البقية.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص: ٧).

(٢) المرجع السابق (ص: ١١).

(٣) المرجع السابق (ص: ٧).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٩).

وقال السيوطي (٩١١): «وسميته بالإتقان في علوم القرآن ... وهذه فهرست أنواعه: النوع الأول: معرفة المكي والمدني»[(١)].

٣- دعوى أن هذه الأنواع مذكورة على سبيل الإجمال لا التفصيل، وأنه لو كان المراد التفصيل لزادت عما هي عليه.

قال ابن الصلاح: «... الخامس والستون: معرفة أوطان الرواة وبلدانهم.

وذلك آخرها، وليس بآخر الممكن في ذلك فإنه قابل للتنويع إلى ما لا يحصى، إذ لا تحصى أحوال رواة الحديث وصفاتهم، ولا أحوال متون الحديث وصفاتها، وما من حالة منها ولا صفة إلا وهي بصدد أن تفرد بالذكر وأهلها، فإذا هي نوع على حياله، ولكنه نصب من غير أرب، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[(٢)].

قال الزركشي: «واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله والرمز إلى بعض فصوله»[(٣)].

قال السيوطي: « فهذه ثمانون نوعا على سبيل الإدماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة»[(٤)].

وهذا التناظر بين هذه الكتب يُشعر بأثر الكتابة في أنواع علوم الحديث على الكتابة

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥).

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ص: ١١).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٢).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧).

في أنواع علوم القرآن، ويبقى السؤال هنا: هل للفظة (علوم) في أنواع علوم القرآن مفهوم محدَّد، أم هم يتوسعون في الإطلاق بلا ترتيب مقصود؟

إنَّ المدقِّق في استخدام علمائنا السابقين للفظ (علم) ولفظ (علوم) يعلم أنهم لا يريدون به مصطلحًا محدَّدا متعارفًا عليه بينهم، بل كثيرًا ما يكون في إطلاقهم شيء من المسامحة والتوسع، لذا لابدَّ من مراعاة هذا ونحن نناقش هذه الجزئية، ولا نحملهم على غير منهجهم ومراداتهم، لكن نوضح المشكل الواقع في هذا المصطلح ومدى حاجته لبيان خاص يضبط مسار هذه الأنواع المذكورة، ويجعل طالب علوم القرآن على بصيرة بضبط المصطلحات، ومعرفة طريقة علمائنا في استخدامها بتوسع، وأنَّ عملهم كان ومضى، وعلينا أن نرتِّب بحوثنا ونضيف الجديد بما لا يأتي بالنقيصة على عملهم.

وإذا تأمَّلنا الأنواع الثمانين التي ذكرها السيوطي، والأنواع الثمانية والأربعين التي ذكرها قبله الزركشي؛ التي صدَّروها بأنها علوم القرآن، فكل واحد منها علم من علوم القرآن، فما مفهوم (علم)، هل هو (**انطباع الصورة في الذهن بمعلومة مرتبطة بالقرآن**)، كقولنا: نزلت هذه الآية في كذا ؟

هذا بلا شكَّ يُسمَّى علمًا؛ لحصول صورة هذا الشيء في الذهن، وإذا قلنا بأن هذا هو العلم في علوم القرآن، فإن كل معلومة متعلقة بالقرآن؛ سواء أكانت منبثقة منه أو لها علاقة به وهي من خارجه، فهي من علوم القرآن.

ثم حينما تجتمع هذه المعلومات تحت موضوع واحد يُطلق عليه علمًا أيضًا، فقولنا: نزلت هذه الآية في كذا مع ما يشبهها من المسائل المتعلقة بالنزول يُصطلح عليها بأنها (علم أسباب نزول القرآن)، فتكون هذه المعلومة (نزلت هذه الآية في كذا) جزء من (علم أسباب نزول القرآن).

والظاهر من معلومات كتاب الإتقان وغيره أنهم يريدون في إطلاقهم عبارة علوم القرآن، أنها مجموعة من المعلومات المتعلقة بالقرآن - سواء انتظم تحت موضوع معين أو لم تنتظم، وسواء أكانت منبثقة منه أو كانت من خارجه، ولها به علاقة.

وإذا كان كذلك، فلا يصحُّ أن نحاكم هذا الإطلاق (علوم القرآن) إلى مصطلحات تمَّ التوافق عليها بين قوم آخرين، وهؤلاء العلماء كانوا يكتبون علوم القرآن وأذهانهم خالية من هذه الاصطلاحات.

ومن ثمَّ؛ فلا يصلح أن نقول: هل (علوم القرآن) من قبيل التصورات أو التصديقات؟

أو هل علوم القرآن مسائل مضبوطة ضبطًا خاصًّا بحيث يُستدل بالمعلومة على العلم؟ كما إذا قيل: الفاعل مرفوع، فيعرف المتلقي أن هذا من مسائل علم النحو والإعراب.

أو هل كل نوع منها تنطبق عليه المبادئ العشرة في العلم؟

وإذا تأملنا هذه الأنواع، فإننا سنجد منها ما يمكن أن يكون علمًا، ويندرج تحت اصطلاحٍ من اصطلاحات العلماء في (العلم)؛ كعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعجاز القرآن، وعلم التفسير، وغيرها.

ومنها ما يكون مجموع مسائل تندرج تحت موضوع واحد، مثل (معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر)، ومثل (الأسماء والألقاب والكنى).

ومنها ما يكون مسألة علمية واحدة، مثل (المتواتر) (المشهور) (المد والقصر) وغيرها.

ومنها ما يكون موضوعًا قرآنيًا منبثقًا منه، وإن كان قد يوجد في غيره، مثل (اقسامه) (جدله) وغيرها.

والمقصود .. أننا لو أردنا أن نطبق أي إطلاق من إطلاقات العلماء في مصطلح العلم، فإننا سنجد مشكلة كبيرة في ذلك، بل سنجد أن كثيرًا من هذه الأنواع لا تندرج تحت هذه الإطلاقات، وهذا ما كان يدعونا إلى النظر في مراد علمائنا بإطلاق عبارة (علوم القرآن)، والاجتهاد في التعرف على مرادهم في ذلك، والنظر في توسعهم في تعداد هذه الأنواع، حتى قال من قال: « وقد ركب العلماء على هذا كلاماً، فقالوا: إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمئة علم، وسبعة آلاف، وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة منها ظاهر وباطن، وحد ومطلع، هذا مطلق دون اعتبار تركيبه، ونضد بعضه إلى بعض وما بينها من روابط على الاستيفاء في ذلك كله، وهذا مما لا يحصى، ولا يعلمه إلا الله تعالى»[1].

(١) قانون التأويل لابن العربي، تحقيق الدكتور محمد السليماني (ص: ٥٤٠).

الفصل الرابع
إضافات مهمة على عمل السيوطي في الإتقان

المبحث الأول: تصنيف أنواع علوم القرآن وبيان تداخل بعضها ببعض والعلاقات بينها

المبحث الثاني: علوم القرآن بين النقل والاجتهاد.

المبحث الثالث: علوم القرآن وعلاقتها بالتفسير.

وسأجتهد ببيان الأمثلة في ذلك.

المبحث الأول
تصنيف أنواع علوم القرآن وبيان تداخل بعضها ببعض والعلاقات بينها

يدخل في هذا المبحث مجموعة من القضايا، منها علاقات بعض الأنواع ببعض، وترتيب دراستها، وتداخل بعض الأنواع بين علم من أنواع علوم القرآن، وسأقسمها إلى مسائل ليتبين المراد منها:

المسألة الأولى: تصنيف أنواع علوم القرآن:

سبقت الإشارة إلى هذه الفكرة، والاجتهاد في تصنيف أنواع علوم القرآن عند السيوطي في مجموعات كلية تندرج تحتها الموضوعات التفصيلية التي دوَّنها السيوطي في الإتقان.

وعند النظر في التصنيف الكلي فإننا لا يمكن أن نتبيَّنه إلا بعد تبيُّن التصنيف التفصيلي، ثم نجمع كل مجموعة متناسقة على موضوع واحد، ونجعل لها عنوانًا كليًّا شاملاً، كما سبق في المبحث الأول من الفصل الثالث.

فمثلاً.. لو أردت أن تضع من أنواع علوم القرآن (الوحي)، فأين سيندرج من جهة التصنيفات الكلية التي سبق بيانها؟

لا شكَّ أنه أقرب إلى نزول القرآن من غيره من الأنواع، لذا يندرج موضوع الوحي وما يتعلق به من مسائل تحت (نزول القرآن)، والله أعلم.

والمقصود هنا الإشارة إلى الحاجة إلى تأسيس تصنيف شامل يقوم على تنصيفين: تصنيف كلي وتصنيف تفصيلي يرجع إلى هذا التفصيل الكلي كما فعل البلقيني من قبل.

المسألة الثانية: علاقات هذه الأنواع ببعضها:

سبق أن طرحت في كتابي (المحرر في علوم القرآن) علاقات بعض علوم القرآن ببعضها الآخر، وأنا أشرح ذلك هنا، وأبين فائدة هذا النظر في تعلُّم علوم القرآن وتدريسها.

قلما يوجد نوع من العلوم مستقل بذاته، ولا يتعلق بغيره من الأنواع الأخرى، ومعرفة العلاقات يلزم منها قبل ذلك معرفة مفردات كل نوع، وما فيه من مميزات وخصائص.

ولنأخذ مجموعة من المجموعات السابقة التي طرحتها في تقسيم السيوطي، ونطبق عليها هذه الفكرة.

نجد في المجموعة الرابعة: ما يتعلق بأدائه الأنواع الآتية:

الثامن والعشرون: في معرفة الوقف والابتداء.

التاسع والعشرون: في بيان الموصول لفظا المفصول معنى.

الثلاثون: في الإمالة والفتح وما بينهما.

الحادي والثلاثون: في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب.

الثاني والثلاثون: في المد والقصر.

الثالث والثلاثون: في تخفيف الهمزة.

الرابع والثلاثون: في كيفية تحمله.

الخامس والثلاثون: في آداب تلاوته.

وإذا دخلنا في تفاصيل النوعين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين سنجد أن المعتمد فيهما هو المعنى، وأنهما فرع عنه، من جهة أن كيف تقف، وكيف تبتدئ؛ إنما تعمد على فهم المعنى أولاً، وليس على الأداء، فإذا فهمت المعنى عرفت أين تقف وكيف تبتدئ، ثم يترتَّب على ذلك تحسين الأداء باتباع المواقف والمبادئ، ومن ثَمَّ، فهذان النوعان فرع عن تفسير القرآن، ونتيجتهما تتعلق بكيفية أداء القارئ للقرآن.

ولإدخال بعض أهل التجويد (الوقف والابتداء) في كتبهم تنوسي ذلك الأصل، وظُنَّ أنه من علم التجويد أصالةً، مع أنك إذا رجعت إلى الكتب المؤلفة في (الوقف والابتداء) ترى نصَّ العلماء علاقته بالمعنى والتفسير، بل إن تطبيقاتهم لا تكاد تخرج عن هذا الأصل، ولا يكادون يذكرون ما يتعلق بالأداء إلا قليلاً.

وتتبع الأنواع كلها ومعرفة العلاقات بينها، ومعرفة فوائد ذلك؛ مما لم يتم بحثه إلى الآن.

وإذا أخذنا تطبيقًا آخر في مجموعة (نزول القرآن) على (المكي والمدني)، فإننا سنجد من العلاقات العلاقة بالناسخ والمنسوخ، فالمكي والمدني تأريخ، والناسخ والمنسوخ له ارتباط بالتاريخ، فالمكي متقدم على المدني، ولا يمكن أن ينسخ مكي مدنيًّا.

قال ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣): «سورة البقرة مدينة بإجماع.

ومعرفة المدني من المكي أمر عسير، لم يبلغ إليه معرفة العلماء على التحقيق، ولا ثبت

فيه النقل على الصحيح، وإنما أراد الله أن يكون ذلك على سبيل الاحتمال حتى تختلف بالمجتهدين الأحوال، وأمثل ما تحصَّل لي في ذلك ما أورده على خلافه.. ذكر ما نزل من القرآن بمكة... »[1].

ومن هذا المثال نعلم أن ترتيب الموضوعات في علوم القرآن أن يُدرس المكي والمدني قبل دراسة الناسخ والمنسوخ، وكذا أن يرتب في الكتب هكذا؛ لأن الناسخ والمنسوخ يعتمد على المكي والمدني.

(١) الناسخ والمنسوخ لابن العربي، تحقيق الدكتور عبدالكريم المدغري العلوي (٢/ ٩).

المبحث الثاني

علوم القرآن بين النقل والاجتهاد

هل كل أنواع علوم القرآن متحصلة بالنقل، أو هي من قبيل الاجتهاد؟

وكيف نميِّز بين هذه الأنواع؟

١ ـ المنقول من علوم القرآن:

إن من علوم القرآن ما هو منقول لا مدخل فيه للاجتهاد، ومنها ما هو في أصله اجتهاد، ومنها ما هو دائر بين الأمرين، فالأصل فيه النقل، وإن عُدِمَ النقل صار إلى الاجتهاد.

وفائدة معرفة ذلك تعود إلى طريقة التعامل مع كل قسم من هذه الأقسام.

فما كان طريقه النقل، فلابدَّ فيه أولاً من قبول المنقول أو صحَّته.

وإذا ثبت المنقول فإنه لا يُردُّ بالعقول، بل سبيل العقول فيه إذا استشكلته تفهُّمه وبيانُ وجهه.

ومن هذه أنواع علوم القرآن في ذلك الناسخ والمنسوخ بالمعنى الاصطلاحي[(١)]، وهذا لا مدخل للاجتهاد فيه ثبوتًا ولا ردًّا.

والمقصود بالثبوت: أن يُنقل عن الصحابة نقلاً مقبولاً، فإن لم نجد رجعنا إلى التابعين وأتباعهم؛ لأنهما وعاء للمنقول عن الصحابة، وإن لم يصرِّحوا بذلك.

---

(١) أي: رفع حكم شرعي بحكم شرعي آخر متراخ عنه.

ولا يُردُّ ما روي عنهم إلا إذا قام الدليل على أنه قال بذلك باجتهاده، وظهر خطأه فيه، وأنَّى لنا ذلك.

أما أن يحكم واحد من المفسرين المتأخرين بوقوع النسخ بين آيتين فلا يقبل؛ لأن السبيل في ذلك النقل عن أهل الرواية من طبقات الصحابة والتابعين وأتباعهم كما سبق.

وإذا كان المعتمد في النسخ النقل، فإنه لا يصح إنكار وقوع النسخ الذي ثبت بالنقل بدعاوى وشبه عقلية؛ لأن المنقول إنما يرد من جهة عدم الثبوت، وليس من جهة عدم موافقة العقول.

وعدم الالتفات إلى هذا أوقع بعضهم في رد نصوص السلف في إثبات وقوع النسخ بين الآيات، وراحوا يتأولون تلك النصوص المتكاثرة التي تثبت النسخ بكلام ضعيف متهافت لا قيمة فيه.

٢ـ المعقول من علوم القرآن:

والمقصود به هنا ما لم يرد فيه النقل عن النبي ﷺ ولا عن صحابته، ولا عن التابعين وأتباعهم، وهو ما يكون باجتهاد من جاء بعدهم واختراعهم.

ومن أمثل ما يمثَّل به في هذا المقام (إعجاز القرآن)، فهو من اختراع المتأخرين، وهو قائم على الاجتهاد العقلي المحض، وليس فيه نقل عن أهل المأثور.

وإعجاز القرآن بكل ما فيه من تفاصيل لا يخرج عن مسارين:

الأول: المسار الكلامي الحجاجي، وهذا قام به المعتزلة، وعلى يدهم نشأ موضوع إعجاز القرآن، ومنهم بدأ بكل ما يحمل من مصطلحات وتعريفات، ثم سرى في بقية طوائف الأمة مع بعض التعديلات التي توافق عقيدة كل طائفة في القرآن لكنه إلى الآن لم يخل من لوثة الاعتزال.

الثاني: المسار البياني، هو بيان بلاغة القرآن، وكونه أفصح كلام، وأنه أعلى طبقة من طبقات كلام البشر، وعن هذا المسار نشأ علم البلاغة، وسار هذا تاريخيًا بمصطلحات كثيرة تضمنها، حتى استقر على أنواع ثلاثة (المعاني والبديع والبيان)، وضمنها أنواع تفصيلية معروفة عند أهل هذا العلم.

والحديث في هذين المسارين كان قد بدأ معًا، وكان البيان عن المسار البياني طريقًا للجدال الكلامي في صحة إعجاز القرآن، ويمثل هذا الجاحظ (ت: ٢٥٥) في بعض كتاباته عن (نظم القرآن)، وابن قتيبة (ت: ٢٧٦) في كتابه (تأويل مشكل القرآن).

٣ـ ما يتردد بين المنقول والمعقول:

وهذا القسم يكون أصله نقليًا، لكن إن انعدم النقل يُلجأُ للعقل، وينظر فيه على سبيل القياس بالمنقول.

ومن أمثلة ذلك (المكي والمدني)، وقد سبق نقل كلام ابن العربي فيه، وهو كلام نفيس صريح في أن المكي والمدني قائم على النقل، لكن إن انعدم النقل، أو وقع في الآية أو السورة خلاف، فإنه يُعمد إلى العقل الذي يقيس على المعروف المنقول، فيحكم على المختلف فيه أو فيما لم يرد فيه منقول على وجه التفصيل.

قال الجعبري (ت: ٧٣٢): «الباب الثامن: في السور المكية والمدنية والآيات السفرية.. وجلُّ فائدته تظهر في علم الناسخ والمنسوخ؛ بسبب معرفة التقدم والتأخر، وله طريق سماعي وقياسي:

فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما[1].

(١) يعني مكة والمدينة.

والقياسي؛ قال علقمة: عن عبد الله: كل سورة فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فقط، بخلاف الحج، أو كلا، أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين والرعد في وجه، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى[(١)]، فهي مكية.

وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية.

وكل سورة فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فقط، أو ذكر المنافقين، فهي مدنية.

وقال هشام ابن عروة عن أبيه: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد، فهي مدنية»[(٢)].

---

(١) يعني سورة البقرة.

(٢) حسن المدد في معرفة فن العدد، للجعبري، تحقيق الدكتور بشير الحميري (ص: ٢٨٨- ٢٨٩).

المبحث الثالث

علوم القرآن وعلاقتها بالتفسير

إن كتب التفسير تتضمن في باطنها كثيراً من أمثلة علوم القرآن المتنوعة التي يذكرها المفسرون عرضًا أثناء تفسير الآيات، فهل كل نوع من أنواع علوم القرآن يهمُّ المفسر؟

هل كل نوع من أنواع علوم القرآن لا يقوم التفسير إلا عليه؟

للإجابة عن ذلك نحتاج إلى أمرين:

الأول: تحديد أنواع علوم القرآن.

الثاني: مفهوم التفسير.

وبالاتفاق على هذين يمكن البحث في علاقة أنواع علوم القرآن بالتفسير.

ولأضرب مثلاً لذلك.

قال ابن عطية (ت: ٥٤٢): «سورة البقرة.. هذه السورة مدنية، نزلت في مدد ١٠٤ شتّى، وفيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، وهي: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

ويقال لسورة البقرة: «فسطاط القرآن» وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من الأحكام والمواعظ.

وتعلَّمها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بفقهها وجميع ما تحتوي عليه من العلوم في ثمانية أعوام[(١)]، وفيها خمسمائة حكم، وخمسة عشر مثلا.

(١) رواه مالك في الموطأ بلاغا(٢/ ٢٨٧)، برقم(٦٩٥).

وروى الحسن بن أبي الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «أي القرآن أفضل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «سورة البقرة» ثم قال: «وأيها أفضل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «آية الكرسي»[(١)].

ويقال إن آيات الرحمة والرجاء والعذاب تنتهي فيها معانيها إلى ثلاثمائة وستين معنى.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى. وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش»[(٢)]، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غيايتان بينهما شرف، أو غمامتان سوداوان، أو كأنهما ظلة من طير صوافّ تجادلان عن صاحبهما»[(٣)]، وفي البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[(٤)]، وروى أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال: «البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»[(٥)]، وروي عنه عليه السلام أنه قال: «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة، فيها آية هي سيدة أي القرآن هي آية

---

(١) الحديث من مراسيل الحسن، قال الحافظ: الحديث مرسل إسناده إلى الحسن صحيح، انظر: المطالب العالية (١٤/ ٥٣٦)برقم (٣٥٥٥).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٦٦) برقم (٨٢٣١) وفيه: عبيد الله الهذلي، منكر الحديث، انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٣٠-٣١).

(٣) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، (١/ ٥٥٣) برقم (٨٠٤).

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، (١/ ٥٣٩) برقم (٧٨٠).

الكرسي»[(١)]، وعدد آي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون آية، وقيل: ست وثمانون، وقيل: سبع وثمانون»[(٢)].

التعليق:

هذه مجموعة معلومات في علوم السورة، وهي تدخل في بعض أنواع علوم القرآن، فمنها ما هو من المكي والمدني، ومنها ما هو من فضائل القرآن، ومنها ما هو من عد الآي، إلى غير ذلك، وكلها ليس لها أثر في فهم معنى الآيات، لذا لا تكون من علوم التفسير، بل هي من جملة علوم القرآن.

وكل معلومة تؤثر في المعنى فهي من التفسير، وكل معلومة لا تؤثر في المعنى، ولها علاقة بالسورة أو الآية، فهي من علوم القرآن لا التفسير.

المراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢- إتمام الدراية لقراء النقاية، لجلال الدين السيوطي، تحقيق إبراهيم العجوز، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

---

(١) طرفه الأول رواه الحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير (٢/ ٢٨٥)، برقم (٣٠٢٧)، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، أما طرفه الآخر، رواه الترمذي، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ (٥/ ١٥٧) برقم (٢٨٧٨)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه».

(٢) المحرر الوجيز(١/ ٨١).

٣- الأدفوي مفسراً وتحقيق سورة الفاتحة، رسالة علمية بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للدكتور عبد الله عبد الغني كحيلان.

٤- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٦- تاريخ دمشق، لأبي القاسم ابن عساكر، عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٧- التحبير في علوم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فتحي عبد القادر فريد، نشر دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.

٨- التحدث بنعمة الله، لجلال الدين السيوطي، تحقيق اليزابث ماري سارتين، نشر المطبعة العربية الحديثة.

٩- التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لأبي العباس المهدوي، تحقيق دار الكمال، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

١٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١١- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لأبي عبدالله البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٣- حسن المدد في معرفة فن العدد، لبرهان الدين الجعبري، تحقيق بشير بن حسن الحميري، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٤- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، تحقيق محمد صفاء مكي وآخرين، الناشر: مركز البحوث والدراسات بالشارقة، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.

١٥- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لأبي القاسم بن بشكوال، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، نشر مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

١٦- العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧- علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه، لمساعد الطيار، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد(١) ربيع الآخر (١٤٢٧هـ).

١٨- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين ابن الجزري، نشر مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.

١٩- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، لجمال الدين ابن الجوزي، نشر دار البشائر- بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٢٠- قانون التأويل، لابن العربي المالكي، تحقيق: محمّد السّليماني، نشر دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٢- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلاني، نشر دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٥- معرفة أنواع علوم الحديث(مقدمة ابن الصلاح)، لتقي الدين بن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، نشر: دار الفكر- سوريا، نشر دار الفكر المعاصر-بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٦- معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق السيد معظم حسين، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٢٧- مواقع العلوم في مواقع النجوم، لجلال الدين البلقيني، دراسة وتحقيق نبيل صابري، (ماجستير) - جامعة الجزائر - ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٢٨- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي بكر بن العربي المالكي، تحقيق عبد الكبير العلوي المدغري، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

الحصانة الفكرية في القرآن الكريم
(المفهوم والخصائص)

إعداد

أ د. عادل بن علي الشدي

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

الحصانة الفكرية في القرآن الكريم
المفهوم والخصائص

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإنه ليسعدني أن أواكب الجهود المباركة لكرسي القرآن الكريم وعلومه في جامعة الملك سعود في خدمة هذا التخصص الشريف ببحث مختصر حول (الحصانة الفكرية في القرآن الكريم)

وتبرز أهمية هذا الموضوع من خلال أمور منها:

- أن أهم ما يملكه المرء هو دينه وعقيدته، فكل ما من شأنه الإسهام في صيانتهما يكون في أعلى درجات الأهمية.
- أن العقيدة السليمة التي تمنح صاحبها السعادة في الدنيا والآخرة إنما هي العقيدة المستمدة من الوحي لعدم إمكان تطرق الخلل والزلل إليه بخلاف ما يستمد من التجارب البشرية المحضة.
- أن من شأن هذا الموضوع أن يسهم في تنزيه ديننا الحنيف مما يتم ربطه به زوراً وبهتاناً من انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين.
- أنه متى اختل الاعتقاد بين أفراد المجتمع حصل الفساد في الأرض وتزعزع الأمن، وما عاناه المسلمون من بدعة الخوارج من شر مستطير خير شاهد على ذلك.

وسيشتمل هذا البحث على مبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الحصانة الفكرية ومكانتها في القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحصانة الفكرية

المطلب الثاني: مكانة الحصانة الفكرية في القرآن

المبحث الثاني: خصائص الحصانة الفكرية في القرآن ومعالمها، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ترسيخ مرجعية الوحي، وفيه فرعان:

الفرع الأول: غرس التوحيد في القلوب

الفرع الثاني: الأمر بالانقياد لأمر الله ورسوله ﷺ

المطلب الثاني: ضبط مصادر التلقي، وفيه سبعة فروع:

الفرع الأول: الرجوع للكتاب والسنة

الفرع الثاني: رد الأمة للعلماء

الفرع الثالث: التحذير من اتباع المتشابه

الفرع الرابع: النهي عن غشيان مجالس أصحاب الشبه

الفرع الخامس: الأمر بالتثبت في الأخبار

الفرع السادس: اعتماد الحجة والبرهان في قبول الأقوال

الفرع السابع: الدعوة للصدق والتحذير من الكذب

المطلب الثالث: حماية عقيدة المسلم، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: إظهار بشاعة الشرك

الفرع الثاني: التحذير من النفاق

الفرع الثالث: النهي عن الابتداع في الدين

المطلب الرابع: صيانة المجتمع من الغلو والتحزب واتباع الهوى، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: التحذير من الغلو

الفرع الثاني: النهي عن التفرق والتحزب واتباع الهوى

الفرع الثالث: غرس تعظيم الله في النفوس والأمر بتقواه سبحانه

المطلب الخامس: تحصين الفكر بالعلم، وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: بدء الوحي بالأمر بالقراءة

الفرع الثاني: بيان أن الأصل سلامة الفكر والمعتقد

الفرع الثالث: الدعوة للتفكر والنظر بضوابط

الفرع الرابع: التنويه بمكانة العلماء

الفرع الخامس: التفصيل لاستبانة سبيل المجرمين

الخاتمة

سائلاً الله تعالى الإعانة التوفيق والقبول .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
مفهوم الحصانة الفكرية ومكانتها في القرآن

المطلب الأول: مفهوم الحصانة الفكرية

إن مصطلح الحصانة مصطلح مركب تركيبا إضافيا يقتضي التعريف به التعريف بمكونيه؛ فالحصانة لغة تطلق على معان متقاربة؛ هي الحفظ والحياطة والحرز والمنع[(١)]، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾[(٢)] فقوله: لتحصنكم أي لتحرزكم وتمنعكم[(٣)]، والفكر تردد القلب في الشيء[(٤)]، أو هو التأمل، وقيل: «الفكر حركة النفس في المعقولات»[(٥)]، وعرّفه الجرجاني بأنه: "ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول»[(٦)].

وبناء على ما تقدم فإن الحصانة الفكرية في المعنى اللغوي تعني إحراز العقل من كل ما يعرضه للخطر، وفي الاصطلاح عرفها بعض الباحثين بأنها: "التمسك بعقيدة التوحيد الخالص، وتنظيم أولويات التفكير، وضبط تبادل المعلومات بين المسلم

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٦٩)، والصحاح (٢/ ٧٨٣).

(٢) سورة الأنبياء من الآية (٨٠).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٣٠١).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٤٦).

(٥) نثر الورود ١/ ٧١.

(٦) التعريفات (ص١٦٨)، وينظر: المعجم الوسيط (ص ٦٩٨).

وغيره»[(١)]، وهذا التعريف وإن كان يمكنه وصفه بالجامع فإنه غير مانع لعدم النظر إلى أن التأثير والمعلومات المشوشة التي قد تأتي للمسلم ليس من غير المسلم بل ممن ينتمي للإسلام، وعليه يمكن تعريف الحصانة الفكرية بأنها: "إحراز عقل المسلم من كل ما يؤثر سلباً على عقيدة التوحيد، وضبط التأمل وتلقي المعلومات بالضوابط الشرعية".

المطلب الثاني: مكانة الحصانة الفكرية في القرآن

الإنسان في نظر الإسلام جسد وروح، وكما مدّ الله سبحانه الإنسان بجهاز حماية لهذا الجسد تصونه مما يضره أرسل الرسل وأنزل الكتب لحماية روحه من خلال تحصين فكره من كل ما من شأنه أن يصرفه عن الفطرة التي فطره عليها، وقد أولى القرآن الكريم موضوع صيانة الفكر عناية كبيرة، تتجلى في إشادته بمكانة العقل والحث على صونه من كل ما يعطله، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[(٢)] يقول الطبري رحمه الله: «علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله»[(٣)]، وفي هذا تحصين لمن يتم تعليمهم، وقد بيّن سبحانه في أكثر من آية ما يتهدد المسلمين في دينهم ليتحصنوا، ويحترزوا منه؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾[(٤)]، فإن حرص غير المسلمين على فتنة المسلمين في دينهم مستمرة مدى الدهر، وفي قوله سبحانه ﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾

(١) محمد الشريفين في: الحصانة الفكرية في الحديث النبوي (ص٢٠).

(٢) سورة التحريم من الآية (٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩١).

(٤) سورة البقرة من الآية (٢١٧).

«تعريض بأنهم لا يستطيعون رد المسلمين عن دينهم»[1].

هذه العناية بتحصين الفكر مردها أن أعز ما يملك المسلم دينه، فإن نيل منه انهار وفقد كل خصوصيته، ولذا كانت صيانة الدين أولى الضروريات الخمس التي أطبقت عليها الشرائع، وأساس الدين عقيدة التوحيد التي تحرر فكر الإنسان من الخرافات والعقائد الفاسدة، وتضبط في نفس الوقت هذا التفكير وتدفعه للعمل في ما يمكنه إدراكه، وتحجزه عما لا سبيل له لإدراكه فضلا عن الإحاطة به.

وسيأتي في بقية هذا البحث ما يبين بشكل أكبر عناية القرآن الكريم بالحصانة الفكرية للمجتمع المسلم.

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٣١).

المبحث الثاني
خصائص الحصانة الفكرية في القرآن معالمها

المطلب الأول
ترسيخ مرجعية الوحي

لكل أمة من الأمم مقدسات ترجع إليها وتستمد منها تماسكها واستمرارها، فقد أدرك الناس منذ القدم حاجتهم للدين، فتفرقوا في البحث عنه طرائق قددا؛ فمنهم من ابتغاه في محسوس يصنعه ثم يعظمه، ومنهم من ابتغاه في كوكب أو جرم سماوي أذهله بخلقه فاعتقد فيه وعظمه، ومنهم من ابتغاه في عقله؛ فاستألهه وعظمه، ومنهم نظر في كل تلك الأمور فرآها مخلوقة مثله فربئ بنفسه أن يعبد مخلوقا مثله وإن فاقه جرما، فنقب عن الدين القويم فوجده فيما جاءت به الرسل؛ في عبادة رب الأرباب، وخالق الكون من عدم، فألقت نفوسهم العصى واستقر بها النوى، فكانت المجتمعات تعيش في أمان كل ما تمسكت بما جاء به الرسل، ثم إذا طال العهد على الأمم واجتالتهم شياطين الإنس الجن يبعث الله لهم من يردهم إلى عقيدة التوحيد فضلا من الله وعدلا؛ حتى لا تكون لمن حاد عنها حجة على الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(1)]، وقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[(2)].

(1) سورة الإسراء من الآية (١٥).

(2) سورة النساء من الآية (١٦٥).

ولما كان نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بعثه الله سبحانه برسالة تصون العقيدة الصحيحة وترسم الحياة الهنيئة للبشرية في هذه الدنيا وتقودهم للحياة السعيدة في الآخرة، فكانت صيانة الفكر من الزيغ والانحراف إنما تكون بالتمسك بما أتت به من عقيدة التوحيد والانقياد لما جاء فيها من الأوامر والنواهي، وسنتناول ذلك من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: غرس التوحيد في القلوب

العقل البشري جارحة يعتريها ما يعتري بقية جوارح الإنسان من القصور ومن سوء الاستخدام، ولذا أرسل الله تعالى رسله ليبنوا للناس ما من شأنه أن يعينهم على الوصول إلى معرفة ما تقصر عنه عقولهم من جهة، ويحفظ عليهم تلك العقول من جهة أخرى؛ فكل الرسل جاءت برسالة واحدة فكانوا كلهم يبدؤون بغرس التوحيد بين أقوامهم[(١)]، والقرآن الكريم أثبت اتفاق الأنبياء على البدء بدعوة التوحيد في آيات كثيرة منها على سبيل المثال قول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [(٢)]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير(٣/ ٤٤٠)، واللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٥٤٣).

(٢) سورة الأعراف من الآية (٥٩).

(٣) سورة الأعراف من الآية (٦٥).

(٤) سورة الأعراف من الآية (٧٣).

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[(١)]، يقول الطبري رحمه الله أي: «يا قوم، اعبدوا الله الذي له العبادة، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادةَ غيرُه»[(٢)].

نعم كانت الرسل أول ما تربي عليه أممها هو غرس عقيدة التوحيد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[(٣)]، فكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، يقدح صرف أي شيء من العبادة له بشرط إخلاص العبادة الوارد في قوله سبحانه ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[(٤)][(٥)].

وإذا تبين مما سبق اتفاق جميع الرسل على دعوة التوحيد علم زيف ادعاء القائلين بتطوير المعتقدات عبر الحقب المختلفة للبشرية، وظهر أن ما عرفته البشرية من العقائد المنحرفة لم تكن تستند فيه إلى عقل صحيح، ولا نقل عن الرسل، وإنما كانت تقوم على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول فاسدة[(٦)].

إن هذا التركيز في غرس الإيمان كانت نتيجته ظاهرة على المجتمعات الإسلامية؛ فكلما قوي التوحيد اطمأنت النفوس، وتراحمت مكونات المجتمع، وصرفت العقول لما خلقت له من إحسان العبادة وعمارة الأرض بما ينفع الناس.

(١) سورة الأعراف من الآية (٨٥).
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٩٨).
(٣) سورة النحل من الآية (٣٦).
(٤) سورة البقرة من الآية (٢٥٦).
(٥) ينظر: أضواء البيان (٢/ ٢٨٩).
(٦) تفسير السعدي (ص ٧٦٧، ٧٧٩).

الفرع الثاني: الأمر بالانقياد لأمر الله ورسوله ﷺ

من أبرز مقومات الحصانة الفكرية في القرآن الأمر بالانقياد لله ورسوله ﷺ في كل ما أمر ونهي، فإن المرء حينما يكون له ملجأ يلجأ إليه يعلم علم اليقين أنه لن يأتيه من قبله ما يضره لا في دينه ولا دنياه يشعر بالراحة كلما فزع إليه وقد جعل الله ذلك في هذا الدين القويم.

ولمكانة الانقياد للوحي كان الإيمان بما يأتي به من المغيبات أول ما امتُدح به المؤمنون حتى قبل امتداحهم بالالتزام بالصلاة والزكاة؛ قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[(١)]، والغيب كل ما غاب عنك، وهذا لا يدخل تحت الحصر لمحدودية قدرات الإنسان في عالم الشهادة أحرى في عالم الغيب، ومن جملته الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورُسُلِه واليومِ الآخِر، والجنة والنار والبعث بعد الموت[(٢)]، فالإيمان بتلك المغيبات وبكل ما يأتي من طريق الرسل منقبة كبرى؛ لأنه اعتراف من الإنسان بقصوره، وانقياد لما يخبر به المولى جلّ وعلا، سواء أتاح للإنسان القدرةَ على إدراكه أم لا، ومن نتائج الإيمان بالغيب وتصديق كل ما يأتي به الوحي الانقياد له والتحاكم إليه لكمال العلم بكمال العدل فيه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[(٣)]، فالواجب على المؤمن هو الانقياد التام لحكم الله تعالى

(١) سورة البقرة (١-٣).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٣٧)، وتفسير ابن عطية (١/ ٨٤).

(٣) سورة النور (٥١).

وحكم رسوله ﷺ[1]، إذ فيه للفرد الفوز والفلاح، وللمجتمع الاستقرار والنجاح.

المطلب الثاني
ضبط مصادر التلقي

الفرع الأول: الرجوع للكتاب والسنة

لا شيء أحفظ للفكر من الرجوع إلى الكتاب والسنة، وما دخل على المسلمين من انحرافات فكرية إنما جاء بسبب بحثهم في فلسفات ونظرية بشرية فيها شأنه أن يؤخذ من الكتاب والسنة لا من غيرهما؛ فقد قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] يقول الطبري ﷺ المعنى: « فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك »[3]، وهذا التمسك - كما يقول السعدي رحمه الله - يشمل الفعل والاتصاف؛ فعلى المسلم أن يفعل ما أمر به، ويتصف في نفسه بما أمر بالاتصاف به، ويدعو غيره لذلك[4].

وإذا أُمر النبي ﷺ بالاستمساك بالقرآن الكريم واعتماده منهجا فهو أمر لأمته من بعده، فما ارتضاه الله منهجا لها لا سبيل للحيد عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[5]، فهذه الآية وإن نزلت لسبب

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/ ١٩١)،

(٢) سورة الزخرف الآية (٤٢).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦١٠)، وينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٩).

(٤) تفسير السعدي (ص ٧٦٦).

(٥) سورة الأحزاب من الآية (٣٦)

خاص[1]، فإنها تعتبر أصلا في الرجوع لما يختاره الله تعالى في القرآن الكريم أو على لسان نبيه ﷺ في السنة المطهرة.

وقد جاء مثل هذا المعنى عن النبي ﷺ في قوله (تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله)[2] وفي الاعتصام بكتاب الله اعتصام بالسنة المطهرة لقول تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[3]، فمتى اعتصمت الأمة بالكتاب والسنة رشدت، واجتمع أمرها، ومتى طلبت النجاة في غيرهما تفرقت واختلفت، وتمسكت كل فئة بنظرية وفلسفة ورأت فيها ما لا تراه هي في غيرها وما لا يراه غيرها فيها، يقول مالك رحمه الله: «قبض رسول الله ﷺ وقد تم الأمر واستُكمل فينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا تتبع الرأي؛ فإنه من اتبع الرأي جاءه رجل آخر أقوى في الرأي منه فاتبعه، فكلما غلبه رجل اتبعه، أُرى أن هذا الأمر بعد لم يتم »[4].

فتحكيم الكتاب والسنة هو العاصم من الانحراف الفكري، وهو علامة الإيمان[5] لقول لقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟

(١) ينظر: فقد قيل إنها نزلت في خِطبة النبي ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فزوجها زيد بن حارثة، وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٢)، وتفسير البغوي (٣/ ٦٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (٢/ ٨٨٦)، ح (١٢١٨).

(٣) سورة الحشر من الآية (٧).

(٤) الاعتصام للشاطبي (٣/ ٧٥).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٨)، والتحرير والتنوير (٥/ ١١١).

فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[1]، وقوله جل من قائل: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ ﴾[2].

لكن قد يقول قائل إن الكتاب والسنة ليس بوسع الجميع النظر فيهما لإيجاد الحلول لما ينزل بالمجتمع من ملمات، ولذا يهرع الناس شرقا وغربا لالتماس الحلول، لكن هذا المنزع إنما مرده ضعف الصلة بالمنهج القرآني؛ فالله سبحانه لما علم تفاوت الناس واستحالة أن يكونوا جميعا على قدر النظر في الوحي ومعرفة مسالك الاستدلال والجمع بين الأدلة والترجيح عند الاقتضاء أرشدهم للرجوع للعلماء الربانيين الذين تمرسوا على النظر في الوحي المطهر وعاشوا معه علما وعملا لطلب الحلول لما ينزل بهم كما يأتي بيانه في الفرع التالي.

الفرع الثاني: رد الأمة للعلماء

إن أكبر انحراف فكري يعتري شباب الأمة إنما جاء من بعدهم عن اتباع المنهج القرآني في الوصول للمعلومة الصحيحة؛ فما نراه من تعلق الشباب بأشخاص وفتاوي لا يعرف أصحابها، ومن عرف منهم لم يعرف ولم يشتهر بتحصيل العلم الشرعي مرده لتنكبهم السبيل الذي أرشدهم القرآن الكريم إليه لتحصيل ما يشفي صدورهم ويحفظهم من أن تتخطفهم الآراء والأهواء، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[3]، فهذا أمر للأمة بالرجوع إلى العلماء في كل ما يحتاجون إليه

---

(١) سورة النساء الآية (٦٥).

(٢) سورة النور من الآية (٥١).

(٣) سورة النحل من الآية (٤٣).

من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة[(١)]، فبالرجوع إليهم يستجلي الناس ما يشكل عليهم، وفي الرجوع إليهم سد الباب على انتشار الأفكار الخاطئة والآراء الهدّامة، ولو رجع الناس إليهم قبل إشاعة أي أمر أو أي فتوى لسلموا من الكثير من الإشكالات التي عانى الناس منها في أمنهم وجميع شؤونهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[(٢)]، يقول ابن عطية رحمه الله: «المعنى: لو أمسكوا عن الخوض واستقصوا الأمور من قبل الرسول. أو أُولِي الْأَمْرِ وهم الأمراء، قاله السدي وابن زيد، وقيل: أهل العلم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما، والمعنى يقتضيهما معا»[(٣)] فلو رجعت الأمة في معرفة صحة الأخبار والآراء إلى أمرائها وعلمائها الذين لا تنطلي عليهم الحيل لوجدت المعلومة الصحيحة التي تحفظ عليها دينها ودنياها.

إن هذا الرجوع لولاة الأمر والعلماء ليس أمرا اختياريا للمكلفين، بل هو واجب شرعي دلّ عليه القرآن والسنة؛ فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[(٤)]؛ فأولو الأمر في الآية تعم الأمراء والعلماء[(٥)]؛ فطاعة

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص ٤٤١).

(٢) سورة النساء من الآية (٨٣).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٨٥)، وينظر: تفسير البغوي (١/ ٦٦٧)، وتفسير القرطبي (٥/ ٢٩١).

(٤) سورة النساء من الآية (٥٩).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥).

العلماء دلت عليها الآية المتقدمة ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] وطاعة ولاة الأمر دلت له نصوص كثيرة منها هذه الآية ومنها حديث أبي هريرة ﷺ المتفق عليه: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)[2] فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء فيما يأمرون به وينهون عنه في غير معصية[3]، فإن من شأنها بإذن الله أن تحمي المجتمع من الانجراف مع كل ناعق، ولا سيما عند الخوض في الأمور الخلافية لقول الله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[4] فالرد إلى كتاب الله وسنة رسول ﷺ سبيله الرجوع للعلماء في بيان ما فيهما وحل كلّ نزاع بين الناس في أصول الدين أو فروعه.

الفرع الثالث: التحذير من اتباع المتشابه

من أكبر المزالق التي يأتي منها الانحراف الفكري اتباع المتشابه خصوصا عند عدم الرجوع للعلماء كما تقدم، فالقرآن الكريم أرشد للمنهج السليم في التعامل مع المتشابه؛ فالقرآن ابتلاء واختبار للمؤمنين؛ فبعضه ابتلاء عمل، وبعضه ابتلاء تصديق، وبعضه ابتلاء تصديق وعمل، قال تعالى في شأن هذا القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ

---

(١) سورة النحل من الآية (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ (٩/ ٦١)، ح (٧١٣٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣/ ١٤٦٦)، ح (١٨٣٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥).

(٤) سورة النساء من الآية (٥٩).

ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾[1]، فهذا القرآن فيه آيات أحكمت بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جُعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعِبر، وما أشبه ذلك، ولم تنسخ فالتكليف فيها بالإيمان بها والعمل بها[2]، وفي هذا القرآن آيات متشابهات تشمل «منسوخه، ومقدّمه ومؤخره، وأمثاله وأقسامه، وما يؤمن به ولا يُعمل به»[3][4]، وقد ضل في هذا المتشابه نفر فتركوا المحكم الذي فيه غنيتهم واتبعوا المتشابه طلبا للفتنة واللبس ليضلوا به الجهال[5] وقد حذر النبي ﷺ بعد تلاوة الآية السابقة فإذا: (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم)[6].

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٧).

(٢) ينظر: تفسير مجاهد (ص ٢٤٨)، وتفسير مقاتل (١/ ٨٧)، وتفسير الطبري (٦/ ١٧٠، ١٧٥).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٧٥).

(٤) وللعلماء آراء كثيرة في تحديد المراد بالمحكم والمتشابه منها أن المحكم ما أوقف الله الخلق على معناه، والمتشابه ما استأثر سبحانه بعلمه. ينظر: تفسير البغوي (١/ ٤١٠).

(٥) ينظر: ينظر: تفسير البغوي (١/ ٤١١)، وتفسير ابن عطية (١/ ٤٠٢).

(٦) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات (٦/ ٣٣)، ح ح (٤٥٤٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (٤/ ٢٠٥٣)، ح (٢٦٦٥).

إن اتباع المتشابه كان سبب ضلال الخوارج في صدر الإسلام[١] وعلى منهجهم ضل من ضل من خوارج هذا الزمان فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الفرع الرابع: النهي عن غشيان مجالس أصحاب الشُبه

إن منهج القرآن في حماية الفكر لم يأت بحماية المرء من عقله وهواه وحسب بل أيضا حمايته من المجتمع من حوله؛ فأرشد القرآن إلى مصاحبة الأخيار في أكثر من آية فقال سبحانه ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[٢]، ونهى عن غشيان مجالس أهل الشُّبه لما يمكن أن ينجم عنها من انحراف فكري وسلوكي، ولما يمكن أن يقذفه المرجفون في قلوب الناس ولا سيما غير الراسخين في العلم ممن لا يقدرون على تمييز الغث من السمين وتنطلي عليهم الشبه؛ يقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣] ومعنى الخوض في آيات الله التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، وهذا النهي يعم أفراد الأمة كلهم، فقد نهوا عن مجالسة المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها[٤]، وما أكثر هذه المجالس اليوم في ظل انتشار شبكة المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي التي

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ٩).

(٢) سورة الكهف من الآية (٢٨).

(٣) سورة الأنعام الآية (٦٨).

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٥)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٨)، وتفسير السعدي (ص ٢٦٠).

سببت انحراف الكثير من الفضوليين الذين يغشون منتدياتها ومواقعها من غير زاد علمي رصين، ثم لا يلبثون أن تتخطفهم الفرق الضالة أو يستهويهم دعاة الرذيلة والخنا.

الفرع الخامس: الأمر بالتثبت في الأخبار

من أكثر مداخل الانحراف الفكري شيوعا وخطورة تلقي الأخبار وبثها دون تروٍ أو تمحيص، ففي هذا من الخطورة على الفرد والمجتمع الشيء الكثير، ولذا أمر القرآن بالتثبت من الأخبار قبل تصديقها والعمل بمقتضاها[(١)] وقبل بثها، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[(٢)]، فقد أمرت الآية بالتثبت من صحة الخبر، وهي إن وردت في سبب خاص فإنها باقية في كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر، وهي أصل في عدم الإصغاء إلى كل ما يروى ويخبر به[(٣)]، يقول السعدي رحمه الله: «وهذا أيضا من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة»[(٤)] ولعل مما يؤكد طلب التبين في الأخبار طلبه حتى في حال الحرب إذ يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) ينظر: تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٢١٧).

(٢) سورة الحجرات الآية (٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٢٩٥)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٢٣١).

(٤) تفسير السعدي (ص ٨٠٠).

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾[١]، والتبين طلب بيان حقيقة الخبر، والإحاطة بها علما[٢].

الفرع السادس: اعتماد الحجة والبرهان في قبول الأقوال

هذا السياج لحصانة التفكير سياج قوي له علاقة بالذي قبله؛ فلا يكفي المرء في العمل بالقول معرفة صحة نسبته إلى قائله؛ بل يجب عليه إن كان من أهل النظر أن يطلب دليل القول ويعرضه على ما يعرف من الأدلة حول الموضوع؛ فربما يكون القائل به واهما، أو اعتمد على دليل مرجوح وغاب عنه الدليل الراجح، ولذا نجد القرآن الكريم يثني كثيرا على أصحاب العقول الذين يسخرونها فيما تستطيع النظر فيه، فكثيرا ما نجد القرآن يوجه آياته لأولي الألباب؛ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣] ويقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤]، ويعوِّد القرآن الكريم على منهج طلب الدليل فيقول: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾[٥] ويقول: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٦]، ويعيب الذين يتبعون القول رغم بيان بطلانه بطلانه تقليدا لغيرهم فيقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا

(١) سورة النساء من الآية (٩٤).

(٢) ينظر: التفسير القيم (ص ٤٧٩).

(٣) سورة البقرة من الآية (٢٦٩) وآل عمران من الآية (٧).

(٤) سورة يوسف من الآية (١١١)

(٥) سورة الأنبياء من الآية (٢٤).

(٦) سورة النمل من الآية (٢٧)، ومثل هذا في البقرة (١١١)، والقصص (٧٥).

عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[1]، ويمتدح الذين يصغون إلى الأقوال فيأخذون منها الموافق للحق والعدل فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

إن اتباع منهج القرآن في قبول الأخبار وتداولها من شأنه أن يحجم انتشار الأفكار والآراء الضالة المضلة، ويعصم الكثير من دهماء الناس من الوقوع في شركها.

الفرع السابع: الدعوة للصدق والتحذير من الكذب

الصدق منجاة -كما يقال- فهو يحمي صاحبه من كل سوء بما في ذلك الانحراف الفكري؛ فمن صدق مع الله عصمه، ومن تعود الصدق هُدي للبر والتقوى، ومن رزق التقوى أعطاه الله نورا يميز به بن الحق الباطل قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[3] قال السعدي رحمه الله: «الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة»[4]، ولمكانة الصدق امتدح الله أهله فقال سبحانه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة البقرة (١٧٠)، ومثل هذا في المائدة (١٠٤)، وفي الأعراف (٢٨)، وفي الأنبياء (٥٣)، وفي الشعراء (٧٤)، ولقمان (٢١)، والزخرف (٢٢، ٢٣).

(٢) سورة الزمر الآية (١٨).

(٣) سورة الأنفال من الآية (٢٩).

(٤) تفسير السعدي (ص ٣١٩)، وينظر: تفسير العز بن عبدالسلام (١/ ٥٣٢)، وتفسير القرطبي (٧/ ٣٩٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٣).

رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[(١)]، وأمر بصحبة الصادقين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٢)]، ونهى الله عن الكذب وذم أهله في آيات كثيرات فقال سبحانه ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾[(٣)] وقال: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾[(٤)].

فأكثر ما دخل الانحراف على الكثير من الناس بسبب الكذب؛ الكذب في تزوير الواقع، والكذب على ولاة الأمر وعلى العلماء، فمن التزم الصدق وتحراه وهبه الله درجة الصديقين وبالعكس عياذا بالله من كذب وتحرى الكذب كتب عند الله كذابا كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[(٥)].

(١) سورة الأحزاب من الآية (٣٣).

(٢) سورة التوبة الآية (١١٩).

(٣) سورة النحل الآية (١١٦).

(٤) سورة النحل الآية (١٠٥)، وانظر ذم الكذب مثلا في النساء (٥٠)، والأنعام (٢٤)، ويونس (٦٠) وغيرها كثير .

(٥) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (٨/ ٢٥)، ح (٦٠٩٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٢)، ح (٢٦٠٧).

المطلب الثالث
حماية عقيدة المسلم

الفرع الأول: إظهار بشاعة الشرك

ما من انحراف فكري أعظم من أن يشرك المرء بالله سبحانه وتعالى غيرَه، وهو الذي خلق ورزق، وآلاؤه على الإنسان لا تحصى ولا تعد، وآياته الدالة عليه وعلى وجوب إفراده سبحانه بالعبادة كذلك، ولخطر الشرك وبشاعته كاد القرآن الكريم على مدى ثلاث عشرة سنة من عمر رسالة النبي ﷺ ألا يعتني بغير بيان التوحيد وتصحيح العقائد، وإقامة الحجج للناس، فكان أغلب آي الذكر الحكيم في العهد المكي مكرسا لصقل العقول مما علق بها من الشرك بالله سبحانه، ولا أدل على بشاعة الشرك من قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] أي «لئن أشركت بالله شيئا يا محمد، ليبطلنّ عملك، ولا تنال به ثوابا»[2]، وفي هذا الخطاب أدب لله سبحانه وتعالى لنبيه لأن الله عصمه من الشرك، وتهديد لأمته[3]، وآيات التحذير من الشرك وأهله كثيرة منها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[4]، ومنها ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ

(١) سورة الزمر من الآية (٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٢).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٤/ ٩٩)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٧٧).

(٤) سورة النساء من الآية (٤٨) و(١١٦)، ومثله في سورة المائدة (٧٢)، وغيرها.

مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[(١)]، ففي الآية تمثيل بديع لفظاعة حال من يشرك بالله في مصيره بالشرك إلى حال انحطاط وتلقف الضلالات إياه ويأسه من النجاة ما دام مشركا، وضياع دينه ودنياه[(٢)]، فمن صان فكره عن الشرك بالله تعالى فقد أبقى لنفسه على مخرج يسعه منه بتوفيق الله تعالى الخروج من كل مأزق ومزلق يمكن أن يقع فيهما.

الفرع الثاني: التحذير من النفاق

يحمي القرآن الكريم فكر المسلم من النفاق من طرق شتى؛ فمنها حماية العقيدة من النفاق بذكر مصير أصحابه والتحذير منهم؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[(٣)] ويقول: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾[(٤)]، ومنها بيان أوصافهم قال تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾[(٥)]، وغيرها كثير، يقول ابن القيم «كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم»[(٦)]، ومن طرق صون القرآن فكر المسلم من النفاق تحذيره مما يشيعه ويروجه المنافقون من الإرجاف لزعزعة السلم الاجتماعي وتوهين جسم الأمة، فمن

(١) سورة الحج من الآية (٣١).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٤)، وتفسير السعدي (ص ٥٣٨)، وأضواء البيان (٥/ ٢٥٦).

(٣) سورة النساء من الآية (١٤٥).

(٤) سورة المنافقون من الآية (٤).

(٥) سورة التوبة من الآية (٩).

(٦) مدارج السالكين (١/ ٣٦٤).

ذلك ما تقدم من عدم العمل بأخبارهم حتى يتبين أمرها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[(١)]، فكم وقع فيه الناس من الطوام إثر اعتمادهم على ما يشيعه المنافقون من الافتراء على الدين وعلى ولاة أمور المسلمين من الكذب والبهتان، وقد كان من أعظم البلاء على المسلمين ما يأتيهم من قبل المنافقين لعدم تميزهم عنهم فينخدع بهم العوام، يقول ابن القيم رحمه الله فيهم «فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من علم له قد طمسوه؟! وكم من لواء مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشُّبه في أصول غراسه ليقلعوها؟!.

فلا يزال الإسلام منه في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شُبههم سرية بعد سرية، ويزعمون أنهم مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾[(٢)]»[(٣)].

الفرع الثالث: النهي عن الابتداع في الدين

الابتداع في الدين مدخل من مداخل الانحراف الفكري؛ فحين يستجيب المرء لتسويل الشيطان وتزيينه يبدأ في الزيادة في العبادات ثم في المعاملات ثم لا يزال به حتى يصبح ما يزينه له من بدع هو الأصل وتعاليم الشرع دون ذلك، وقد حذر القرآن الكريم من الابتداع فقال سبحانه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[(٤)] أي: ابتدعوا لهم لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما

---

(١) سورة الحجرات من الآية (٦).

(٢) سورة البقرة الآية (١٢).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٥٥).

(٤) سورة الشورى من الآية (٢١).

حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم[١]، فالابتداع كان من أسباب الانحراف الفكري بين أبناء المسلمين، حين ظهر الخوارج ثم المعتزلة والمرجئة وغيرها من الفرق الضالة التي جلب انحرافهم الفكري على المسلمين ويلات كثيرة.

المطلب الرابع
صيانة المجتمع من الغلو والتحزب واتباع الهوى

الفرع الأول: التحذير من الغلو

الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد [٢]، ولا يختلف معناه في الاصطلاح عن ذلك، فهو مجاوزة الحد الشرعي، يقول ابن تيمية رحمه الله: «الغلو: مجاوزة الحد؛ بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه، على ما يستحق ونحو ذلك»[٣]، وللغلو مظاهر ومجالات متعددة؛ فمنه ما هو متعلق بفقه النصوص إما بتفسيرها تفسيرا متشددا ينافي صفة السماحة في الشريعة ومقاصدها، وإما بتكلف التعمق في معانيها على وجه لم يكلف به المسلم، ومنه ما يتعلق بالأحكام إما بإلزام النفس والآخرين بالزيادة في الأوامر الشرعية زيادة من جنسها؛ فيزيد في العبادة المشروعة في الأصل مثلا فيتجاوز المشقة المعهودة التي تختلف من شخص لآخر، وإما أن يأتي الغلو من جهة تحريم الطيبات المباحة أو بترك الضروريات أو بعضها، ومن الغلو ما يتعلق بالموقف من الآخرين؛ فيغلو في تصويب البعض فيرفعه إلى العصمة، ويغلو في تخطئة الآخر فيخرجه من الملة وإن كان ما أتى لا يستوجب ذلك[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٢٢)، وتفسير السعدي (ص ٧٥٧).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٨)، والصحاح (٦/ ٢٤٤٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٨).

(٤) ينظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين (ص٨٣-٨٤).

لقد حذّر القرآن الكريم من الغلو كثيرا، فمن ذلك على سبيل المثال قول الله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]؛ فحدود الله أوامره ونواهيه أمر بالوقوف عندها وعدم تجاوزها[2]، ونهى سبحانه أهل الكتاب عن الغلو فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[3]، وأمر هذه الأمة بالاستقامة ونهاها عن الطغيان فقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾[4]، فقوله سبحانه (لا تطغوا) أي لا تغلوا فتزيدوا في الأمر والنهي[5]، ولذا كان النبي ﷺ يقول: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[6].

وإذا كان الغلو إنما ينصرف في الأساس إلى مجاوزة الحد في الإفراط فإن منه أيضا مجاوزته في التفريط وهو الجفاء، فما يعتري بعض شباب الأمة من الانسلاخ من ثوابت الدين والاتكاء غير العلمي على سماحة الدين ويسره هو في الحقيقة نوع آخر من الغلو يجب ألا يُغيّبه التركيز على النوع الأول، ومنهج القرآن في هذا بيّن؛ فأكثر ما ترد فيه آيات السماحة والعفو والمغفرة مقرونة بآيات التخويف والتهديد ليبقى المسلم في اتزان تام، على وسطية بيّنة، من ذلك على سبيل المثال قول الله سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا

(١) سورة البقرة من الآية (٢٢٩).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٨٣)، وتفسير ابن جزي (١/ ١١٢).
(٣) سورة النساء من الآية (١٧١)، وسورة المائدة من الآية (٧١).
(٤) سورة هود من الآية (١١٢).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ٤٦٨).
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٣٧)، ح(١٧١١)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ١٨٣)، ح (٣٨٧١). قال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [1] وقوله: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾[2] فهذا المنهج أعون على الطاعة وأمنع من المعصية؛ فالقنوط إياس والرجاء إهمال وخير الأمور أوساطها[3].

الفرع الثاني: النهي عن التفرق والتحزب واتباع الهوى

من أكبر ما يحتاجه المجتمع المسلم في هذا الزمان حمايته من التفرق والتحزب والتعصب للعرق أو المذهب أو غيرها، فالإسلام يحث على الوحدة والاجتماع يقول الله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[4]، أي تمسكوا بكتاب الله ودينه، الذي منه التمسك بجماعة المسلمين، يقول ابن مسعود رضي الله عنه «عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة"[5]، ويبين الله سبحانه خطر الخلاف والتفرق فيقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾[6] فالتنازع شدة الاختلاف المفضي للتفرق[7]، وقد وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[8]، أي ليسوا منك،

(١) سورة الحجر (٤٩-٥٠).

(٢) سورة غافر من الآية (٣).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ١٣٩، ١٠/ ٣٤).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٤٨٠).

(٦) سورة الأنفال من الآية (٤٦).

(٧) ينظر: التحرير والتنوير (٥/ ٩٩).

(٨) سورة الأنعام من الآية (١٥٩).

منك، وهم أهل البدع والضلالات والشبهات[1]، وبيّن سبحانه أن التفرق ضرب من العذاب فقال ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[2]، وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[3] أي كل فريق فرح بما اختاره لنفسه من الدين، معجب به، لا يرى أن الحقّ سواه[4]، ولا شك أن ذلك مؤذن بالاضمحلال والزوال.

فما بُليت الأمة بعد الشرك بشيء أعظم من التفرق والخلاف وتشتيت المسلمين بين أحزاب وجماعات ترفع لها الرايات، ويؤخذ لرؤسائها البيعات، وتعقد لأجلها الولاءات، ويختار لها الخادع من المسميات؛ ولهذا حرصت الطوائف المنحرفة وأعداء هذه الأمة على زرع الخلاف وتأجيجه، فجعلوا كل خلاف مدعاة للتفرق والشقاق، عكس ما كان عليه الحال صدر الإسلام فقد كان الاختلاف يحصل في المسائل العلمية وفي الآراء وتقدير المصالح لكن هذا لم يحملهم مطلقا على العداوة والشحناء بل يبدون آراءهم ثم يمشون على ما ارتضه الأمة من المسائل الاجتهادية، ويعملون بما رآه حكام المسلمين منها دفعا لمضرة الخلاف والفرقة.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٧١).

(٢) سورة الأنعام من الآية (٦٥).

(٣) سورة المؤمنون الآية (٥٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٢).

الفرع الثالث: غرس تعظيم الله في النفوس والأمر بتقواه سبحانه

من الأسس التي اعتمدها القرآن في التحصين الفكري غرس تعظيم الله في النفوس؛ ذلك أن الحدود والعقوبات وإن كانت تطهر الحياة العامة للأمة فإنها لا تصل إلى تطهير داخل النفس البشرية، فذلك إنما يوصل إليه بتعزيز الوازع الإيماني من خلال بيان عظمة الله سبحانه، وإحاطة علمه وقدرته بالمرء في خولته وجلوته، فجاءت آيات كثيرة تبين قدرة الله سبحانه على خلق السماوات والأرضين وتدبير الكون في نظام بديع تتصاغر في جنبه كل قدرة لغيره، وهذا كثير جدا فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾[1] فعظمة الله سبحانه متقررة لدى هذه الأجرام العظيمة[2]، وإذا علمت تلك الأجرام العجماوات عظمة الله سبحانه فكيف يكون حال الإنسان الذي أعطاه عقلا يدرك به الأشياء.

وبيّن الله للإنسان جوانب من عظمته فيقول: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[3]، فأخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة، أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته، لمن لهم عقول يُعملونها فيما خُلقت له[4]، وإذا كانت تلك قدرته سبحانه فقد بين إحاطة

(١) سورة مريم الآية (٩٠).

(٢) تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» (ص ١٦).

(٣) سورة البقرة الآية (١٦٤).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٨).

علمه في مواضع كثيرة أيضا منها قوله: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ [(١)]، فأين الملجأ وأين المفر ممن كانت تلك قدرته وهذا علمه؟ إنه سبحانه بحق لجدير بأن يتقى في كل حال، وعلى أكمل حال، ولذا قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [(٢)] أي: خافوا الله وراقبوه؛ فأطيعوه ولا تعصوه، واشكروه ولا تكفروه[(٣)]، وقد شقت هذه الآية على الصحابة رضوان عليهم لما علومه من أنهم مهما جاهدوا أنفسهم في تقوى الله فلن يصلوا كمال ما يستحقه سبحانه من التقوى، فأنزل سبحانه رحمة بهذه الأمة قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[(٤)(٥)].

(١) سورة لقمان من الآية (١٦).

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٠٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٦٤).

(٤) سورة التغابن من الآية (١٦).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٤٨٠)، وتفسير القرطبي (٤/ ١٥٧).

المطلب الخامس
تحصين الفكر بالعلم

الفرع الأول: بدء الوحي بالأمر بالقراءة

من أعظم ما يحصن الفكر القراءة والتعلم، ولذا كان أول ما نزل من القرآن الكريم هو قول الله سبحانه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] ففي هذه الآيات الكريمات لفتات عظيمة على أهمية القراءة والعلم[2]، فافتتاح هذا الكتاب الكريم الذي يمثل منهج الحياة للناس في شتى المجالات بالأمر بالقراءة يبين أن العلم أساس النجاح في الحياة، فقد ذكر القرآن في هذه الآيات مادة (علم) ثلاث مرات، وذكر أهم وسائل التعلم وهي القراءة مرتين، وذكر أهم أدواته وهي القلم، وكفى بهذا بيانا لمكانة العلم في هذه الأمة، ويؤيد هذا أن القرآن الكريم لم يرشد النبي ﷺ أن يطلب الاستزادة في الحياة من شيء غير العلم فقال سبحانه" ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3] يقول ابن القيم رحمه الله «وكفى بهذا شرفًا للعلم أن أمرَ نبيَّه أن يسأله المزيدَ منه»[4].

فبالعلم يرتقي الإنسان، ويميز بين الغث والسمين، ويتعرف على الحق وحججه، والباطل وشببهه.

---

(١) سورة العلق الآيات (١-٥).

(٢) ينظر: المشوق إلى القراءة وطلب العلم (ص١٥).

(٣) سورة طه من الآية (١١٤).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٠).

الفرع الثاني: بيان أن الأصل سلامة الفكر والمعتقد

إن مما يسهل على العاملين في مجال الدعوة إلى الله، وحماية عقائد الناس من الانحراف والزيغ أن الأصل في البشر سلامة معتقداتهم كما يدل له قول الله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] أي اتبع الدين الحنيف فإنه الذي فطر الله الناس عليه وهو دين الإسلام [2]، «إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته»[3] وقد قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[4]، ولذا فعلى من يتعرض لدعوة الناس أن ينطلق من أن الأصل فيهم سلامة المعتقد، وأن الله قد وضع في قلوبهم الميل للحق وإيثاره[5]، فما عليه إلا الاجتهاد في بيانه وتنقيته مما لحقه من الشوائب.

الفرع الثالث: الدعوة للتفكر والنظر بضوابط

من مظاهر عناية القرآن الكريم بالتحصين الفكري دعوته للتأمل والتفكير المنضبط في آيات الله المتلوة والكونية، ففيها غنية لباغي الوصول إلى حقيقة هذا الكون وخالقه،

(١) سورة الروم من الآية (٣٠).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٥٧٧).

(٣) تفسير ابن جزي (٢/ ١٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (٢/ ١٠٠)، ح (١٣٨٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/ ٢٠٤٧)، ح (٢٦٥٨)

(٥) ينظر: تفسير السعدي ص (٦٤١).

ولذا يكثر في القرآن ختم الآيات بالدعوة للتفكر[1] كما في قوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[2] وقوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾[4]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[5] كل تلك الآيات تدعو للتفكر والتأمل في خلق الله للاستدلال به على الخالق سبحانه، فعبادة التفكر وتدبر الدلائل المبثوثة في القرآن الكريم تحمي المرء من الإلحاد وتدفعه للإيمان بربوبية الله سبحانه وألوهيته، وهو ما من شأنه أن يحميه من تتبع الأفكار والنظريات البشرية بحثا عن حقيقته وحقيقة الكون من حوله والحكمة من إيجادهما.

إن إمعان الفكر والنظر في مآلات الأمور من أهم أسباب حماية الفكر، فمن انتهجها لم ينسق خلف أهل الغلو والإرهاب الذين ينشرون الغلّ والشحناء بين الناس وولاتهم، ولم ينخدع بما يلبسون به دعواتهم تلك من لبوس الدين، ولا ما يتأولونه من النصوص لتسويغ الخروج على الحكام بالقول والفعل لما تؤدي إليه تلك الدعوات من نشر للفوضى واختلال الأمن وشيوع القتل والخوف وخسران الدين والدنيا.

---

(١) كما في سورة يونس (٢٤)، والرعد (٣)، والنحل (١١، ٤٤، ٦٩)، والروم (٢١)، والزمر (٤٢)، وغيرها.

(٢) سورة البقرة من الآية (٢١٩) ومن الآية (٢٦٦).

(٣) سورة الأعراف من الآية (٧).

(٤) سورة الرعد من الآية (٤١).

(٥) سورة الإسراء من الآية (٩٩).

الفرع الرابع: التنويه بمكانة العلماء

الاقتداء والتأسي مطلب فطري يتعلق به الصبي ويطمح له الكبير، فلا يكاد يخلو المرء من نموذج في شتى المجالات يحتذي حذوه، ويتتبع خطاه، ثم إن كانت قدوته صالحة صلح، وإن كانت فاسدة فسد، ولذا رفع الله العلماء ليقتدي بهم الناس؛ فجاءت آيات كثيرة في القرآن تعلي من مكانة العلماء منها على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[1] أي يرفع الله أهل العلم درجات على غيرهم ممن لم يؤت العلم من المؤمنين[2]، ومنها قوله سبحانه: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[3].

وهذا الإعلاء لمكانة العلماء هو لحث العامة على الاقتداء بهم وسؤالهم والصدور عن آرائهم صونا للأمة من أن يتخطفها الجهال وأصحاب الأهواء، وتتشعب بها السبل، «فالمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى الغلو والعنف يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، فحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة »[4].

---

(١) سورة المجادلة من الآية (١١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٦)، وتفسير البغوي (٥/ ٤٦).

(٣) سورة الزمر من الآية (٩).

(٤) الغلو الأسباب والعلاج للدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل (ص١٠).

الفرع الخامس: التفصيل لاستبانة سبيل المجرمين

تحصين القرآن للفكر إضافة لكل ما تقدم يقوم على تمييز طريق الحق من غيرها، ومنح الإنسان وسائل الإدراك التي بها يميّز بها بين الأمرين؛ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[(١)] وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[(٢)] فالنجد هي السبيل، فبين الله سبحانه طريق الخير وطريق الشر، والهدى الضلالة، ليختار المرء بين السبيلين[(٣)] بعد أن بينهما الله تعالى فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[(٤)]؛ أي بعد أن بينّا في الآيات السابقة لهذه الآية الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد، بينّا سبيل المجرمين، ولأنه إذا تبين سبيلهم بانت سبيل غيرهم من المؤمنين فبضدها تتميز الأشياء[(٥)].

ومن هنا فإن سلوك منهج القرآن يقتضي التفصيل في بعض طرائق المجرمين المفسدين وأساليبهم وحيّلهم التي يتوصلون بها إلى خداع الناس وجرّهم إلى طريق الانحراف بنوعيه؛ انحراف الغلو والإفراط والإرهاب، وانحراف الجفاء والتفريط والانسلاخ من الدين، ومن ذلك التفصيل في بيان شبههم وأدلتهم ونقضها وتفنيدها بما يؤدي إلى النفرة منها والقناعة ببطلانها وتحصين القلوب والعقول من زيفها؛ فإن القلب مناخ لمن سبق، والعقل محل لمن بادر.

---

(١) سورة البلد الآية (١٠).

(٢) سورة الإنسان الآية (٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٣٧)، وتفسير البغوي (٥/ ٢٥٦).

(٤) سورة الأنعام الآية (٥٥).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٦/ ٤٣٧)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٣).

الخاتمة

الحمد لله بعمته تتم الصالحات،،، وبعد:

فإن ما تقدم إنما هو إشارات مختصرات حول التحصين الفكري في القرآن، لأن القرآن رسم منهجا عظيما في هذا المجال، والآيات المتناولة له لم يُعرض منها إلا لنزر يسير وبقدر كبير من الاختصار لأن المقام لا يسمح بالاستطراد أكثر من ذلك.

وفي الختام يحسن أن أجمل أهم تلك الإشارات التي حواها البحث على النحو الآتي:

١- يمكن تعريف الحصانة الفكرية بأنها: "إحرازُ عقل المسلم من كل ما يؤثر سلباً على عقيدة التوحيد، وضبطُ التأمل وتلقي المعلومات بالضوابط الشرعية".

٢- تبيّن من خلال البحث مدى العناية التي يوليها القرآن لتحصين عقل المسلم وفكره، وبيان مصادر الإضرار بهما.

٣- تعزيز مرجعة الوحي والتحاكم إليه أساس متين في صيانة الفكر.

٤- غرس عقيدة التوحيد يحمي المرء من الحيرة الفكرية ويعطيه الأجوبة الكافية الشافية على الأسئلة الكبرى التي تحيّر العقول غير المستنيرة بالوحي.

٥- الانقياد لأمر الله ورسوله يوجه العقل للتفكير فيما خلق له ويجنبه مزالق التفكير في المغيّبات التي أتاه الوحي منها بما يحتاجه.

٦- لقد تشعبت مصادر المعلومات قديما وهي اليوم أشد تشعبا وضبطها بتنقيتها والاعتماد على الكتاب والسنة وما يستند إليهما من فهم السلف الصالح يضمن بإذن الله العصمة من الزيغ والغلو.

٧- بيان القرآن لمكانة العلم وتنويهه بمنزلة العلماء وأمره بالرجوع إليهم والصدور عن

آرائهم في الملمات يحفظ بإذن الله من الارتماء في أحضان الجهال والمتعالمين وأصحاب الأهواء.

٨- بيان القرآن سبيل المجرمين وتتبعَهم للمتشابه منه وتركَهم المحكم منه فيه تحذير من منهجهم في التفكير وفي تنزيل الأحكام على الوقائع، وفي التحذير من غشيان مجالسهم تحصينٌ لعقول العامة من شُبههم.

٩- إن من أكثر ما ينشر الانحراف الفكري انتشار وسائل نقل المعلومة، وعدم التروي في ذلك، وفي منهج القرآن في قبول الأخبار ونقلها بتحري الصدق والتثبت أمان من هذا الخطر.

١٠- ركز القرآن الكريم في العهد المكي على إظهار بشاعة الشرك، واعتنى القرآن في العهد المدني بمواجهة النفاق لما يترتب على إدراك بشاعة الشرك واستيعاب عقيدة التوحيد وغرس تعظيم الله في النفوس من تهيئة ضرورية لكل ما يأتي بعدها من الأوامر والنواهي التفصيلية، ولما يترتب على مواجهة النفاق من حماية المجتمع في دينه وأمنه وسلوكه.

١١- من المداخل الكبرى للانحراف الفكري والغلو والتطرف الابتداعُ في الدين والغلو فيه، فكل ما جاوز الحد انقلب إلى الضد.

١٢- التحزب والتفرق والطائفية أمراض مجتمعية تنهك جسم الأمة، وقد حذر القرآن الكريم منها أيما تحذير .

المراجع:

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة-بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤- التحرير والتنوير ؛ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٥- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٦- تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»، د. أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٧- تفسير ابن أبي حاتم؛ تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٨- تفسير ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد، ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

٩- تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

١٠- تفسير ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١١- تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٢- تفسير البغوي؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٣- تفسير السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٤- تفسير الطبري؛ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٥- تفسير العز بن عبدالسلام (تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٦- تفسير القرطبي؛ لجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة.

١٧- التفسير القيم؛ تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ.

١٨- تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٩- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٢٠- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، لمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١- الحصانة الفكرية في الحديث النبوي، محمد الشريفين، بحث علمي منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس العدد ١، ١٤٣٠هـ.

٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي

(ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٥- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٦- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

٢٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢٨- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٢٩- المشوق إلى القراءة وطلب العلم، علي بن محمد بن حسين العِمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية؛ ١٤٢٢هـ.

٣٠- المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٢- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٣- نثر الورود على مراقي السعود، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق وإكمال د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، دار المنارة–جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

التفسير النبوي
دراسة تطبيقية من كتاب التفسير
في سنن الترمذي
(الأنواع - المصادر - المنهاج)

إعداد

د. عيسى بن ناصر الدريبي

التفسير النبوي
دراسة تطبيقية من كتاب التفسير في سنن الترمذي
(الأنواع - المصادر - المنهاج)

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على خير مبلغ محمد بن عبد الله ﷺ وبعد،

فقد كانت لي مطالعات وتعليقات حول التفسير النبوي في متون السنة النبوية من خلال استقرائي لبعض كتب السنة النبوية، ولأهمية هذا الموضوع، ولسعته فقد عقدت العزم على كتابة بحث تأصيلي له من خلال أحد كتب التفسير في كتب السنة النبوية واخترت له هذا العنوان:

التفسير النبوي

دراسة تطبيقية من كتاب التفسير في سنن الترمذي

(الأنواع، والمصادر، والمنهاج)

وكانت الدراسة التطبيقية على النصف الأول من القرآن من كتاب التفسير كنموذج.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١- أن قيمة تفسير القرآن من حيث صحة التفسير تعتمد على أمور أهمها: مصادره، ومن هنا فإن تفسير القرآن بالوحيين له المكانة العالية، والثقة المطلقة، وهذا أمر يقرّره

العلماء باستفاضة –كما سيأتي الحديث عنه في التمهيد–وهذا البحث يتناول التفسير بأحد هذين الوحيين وهو السنة.

٢- أن الناظر في التفسير النبوي القرآن –وهو: الوحي الثاني- يدرك ولاشك أن هذا المجال من المجالات التي لازالت تحتاج إلى بحوث تأصيلية وتطبيقية، تأصيلية بحيث يمكن استقراء أحاديث التفسير النبوي لاستخراج أصول التفسير فيما يخص التفسير النبوي، ومن ثمَّ تعتمد كأصول علمية عالية القيمة في أصول التفسير،

٣- وكذا لا يزال هذا المجال خصباً للدراسة والبحث من حيث التطبيق، باستقراء كتب ودواوين السنة النبوية؛ لاستخراج التفسير النبوي للقرآن بمفهومه الواسع، من حيث استخراج الأحاديث التي تصلح أن تكون تفسيراً للقرآن ولو لم يرد ذكر للآية فيها .

فكرة البحث:

لقد كانت لي مطالعات متعددة سابقة في كتب التفسير في بعض كتب السنة وعلقت بعض الفوائد في مطالعات متفرقة، ثم أردت أن أطبق الجزء الأول مما ذكرته هنا في مجالات بحوث التفسير النبوي، وهو الجانب التأصيلي، ومن خلال دراسة تطبيقية على أحد كتب التفسير في كتب السنة، وهو كتاب التفسير في سنن الترمذي، ولأن الموضوع موضوع تأصيل بالدرجة الأولى فقد اكتفيت بالنصف الأول من القرآن في ذلك .

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي. واعتمدت المنهجية التالية:

١- قراءة النص النبوي من غير خلفيات مسبقة تستدعي إسقاط الأحاديث على قوالب سابقة في أصول التفسير .

٢- اعتماد منهج السبر والتقسيم في قراءة هذه الأحاديث للخروج بأصول التفسير النبوية.

٣- عدم الالتزام بذكر كل ما ذكره الإمام الترمذي من أحاديث، لأن بعضها ذكرها على سبيل تعلق الحديث بشيء من السورة، وهو بهذا يعد مفسرا من الطراز الأول، ولكن هدفي ليس التفسير، بل هو استخراج أصول التفسير فيما يتعلق بالتفسير النبوي .

٤- اعتمدت في غالب الأمثلة الأحاديث المقبولة (الصحيحة أو الحسنة) معتمداً في ذلك على أحكام الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- ذكرت في الهامش أمثلة في نفس المباحث من كتب السنة المختلفة، لتأكيد هذا الأصل، ولأنها كانت هي النواة للبحث في هذا الموضوع، ثم رأيت بعد ذلك أخذ نموذج واحد من نماذج كتب السنة، لأبرهن على أن هذا الموضوع كبير وكبير، ويستحق أن يكون مشروعا علمياً.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة و تمهيد، وفصلان .

التمهيد وفيه:

المبحث الأول: أهمية التفسير النبوي، ومكانته .

المبحث الثاني: عناية العلماء بالتفسير النبوي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عناية العلماء المتقدمين بالتفسير النبوي .

المطلب الثاني: عناية المعاصرين بالتفسير النبوي.

الفصل الأول: التفسير النبوي في كتاب التفسير من سنن الترمذي

وفيه مبحثان

المبحث الأول: مصادر التفسير النبوي . وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الحديث القدسي.

المطلب الثالث: أقواله وأفعاله ﷺ.

المطلب الرابع: المشاهدات.

المبحث الثاني : أنواع التفسير النبوي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفسير الصريح.

المطلب الثاني: التفسير النبوي غير الصريح.

الفصل الثاني: منهاج التفسير النبوي للقرآن . وفيه (١٤) مبحثاً:

المبحث الأول: بيانه ﷺ معنى لفظة أو تركيب أو آية.

المبحث الثاني: تعيين المبهم.

المبحث الثالث: التفسير بالمثال.

المبحث الرابع: بيان من نزلت فيه الآية.

المبحث الخامس: أن يذكر الرسول ﷺ معنى زائداً على ما في الآية.

المبحث السادس: أن يذكر رسول الله في كلامه ما يؤكد معنى الآية.

المبحث السابع: أن يذكر سبب نزول آية.

المبحث الثامن: تفسير الآية بتطبيقها.

المبحث التاسع: تصحيح مفهوم أو بيان إشكال.

المبحث العاشر: بيان أمور مما لم يكن معروفا دلالتها.

المبحث الحادي عشر: حل إشكال أو قضية وقعت لأحد الصحابة.

المبحث الثاني عشر: الإجابة على أسئلة التحدي التي يثيرها أهل الكتاب.

المبحث الثالث عشر: ذكر التفسير دون ذكر الآية.

المبحث الرابع عشر: بيان سبب القصة.

التمهيد

المبحث الأول
أهمية التفسير النبوي ومكانته

تفسير القرآن بالسنة هو المصدر الثاني من المصادر المعتمدة كما دلت على ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويكفي في ذلك أن القرآن عدّ أن رسالة الرسول هي: إيضاح القرآن وبيانه في قوله تعالى - مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

ولذا قال الشافعي - رحمه الله - بناء على فهمه لهذه الآية-: "أن كل ما حكم به الرسول ﷺ - فهو مما فهمه من القرآن".[١]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا"[٢].

والمعنى: أنه قد بيّن لهم ما يخفى عليهم مما يحتاجون لبيانه، وإلا فإن كثيراً من الآيات يعرف الصحابة رضي الله عنهم معناها والمراد بها من خلال معرفتهم بلغة العرب، ومن خلال ما حضروه من القرائن والأحوال والوقائع التي احتفت بالتنزيل.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى - مبيناً لنبيه أنه مأمور بتطبيق أحكام القرآن ولاشك أن

---

(١) الرسالة ص ٣٢.

(٢) مقدمة التفسير في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣١).

هذا التطبيق هو نوع من البيان للقرآن وتفسير له- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] في آيات أخر، وغيرها.

وأما السنة، فقد قال ﷺ- مؤكداً أن سنته وحي-: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه".[(١)]

والمراد هنا بقوله "ومثله معه": السنة كما قرر ذلك العلماء ومنهم الزركشي في البرهان ونقله عنه السيوطي[(٢)] .

وقد أكد السلف أهمية بيان السنة للقرآن حتى قال مكحول قال: "القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن"[(٣)] .

وقال يحي بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السنة.

وقد بيّن ذلك الزرقاني بقوله: "والأصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة أنها مبينة له، ومفصلة لمجملاته، لأن لوجازته كنوزاً تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها فيبرزها، وذلك هو المنزل عليه ﷺ، وهو معنى كون السنة قاضية على الكتاب، وليس القرآن مبيناً للسنة، ولا قاضياً عليها، لأنها بيّنة بنفسها، إذ لم تصل إلى حدّ القرآن في الإعجاز والإيجاز، لأنها شرح له، وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح"[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥/ ١٠) برقم ٤٦٠٤، وابن ماجه في سننه (١/ ٦) برقم ١٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥١٦) برقم ٢٦٤٣

(٢) انظر: البرهان ١/ ١٧٦ والإتقان ٦/ ٢٢٧٤ وأكد ذلك ابن القيم قائلا: "هذا هو السنة بلاشك "التبيان في أقسام القرآن، ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مناهل العرفان: ١/ ٢٩٩.

وقد قرّر العلماء أهمية التفسير النبوي وأثره في تفسير القرآن، ومن ذلك:

أن الطبري قسّم رحمه الله التأويل إلى ثلاثة أقسام، فجعل الأول ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول

يقول ابن جرير الطبري: "فقد تبيَّن ببيان الله – جلَّ ذكره– أنَّ مما أنزل اللهُ من القرآن على نبيه ﷺ ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره، وواجبه، وندبه، وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسوله لأمته . وهذا وجه لا يجوز القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ بتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "السنة تفسر القرآن وتدل عليه وتعبر عنه"(٢).

ويؤكد الشاطبي على هذا المعنى بقوله: "... السنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيانٌ للكتاب ... وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤] ... فعلى هذا لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصارُ عليه دون النظرِ في شرحِه وبيانِه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كلياً وفيه أمور كلية كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر في بيانه"(٣)

(١) المرجع السابق (١/ ٣٣).

(٢) دقائق التفسير: ٢/ ٢٦.

(٣) الموافقات (٣/ ٢٧٤-٢٧٦)، وانظر: (٣/ ٢٥٧).

وعن حسان بن عطية قال: "كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ، ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك"[1] .

ومصداق ذلك في قوله – تعالى –:﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٩، ١٨].

(١) ذكر ذلك القرطبي في مقدمة تفسيره الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣٩.

المبحث الثاني
عناية العلماء بالتفسير النبوي

اعتنى العلماء من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين بالتفسير النبوي عناية فائقة، كما سيأتي تفصيله في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول
المرحلة الأولى: عناية المحدثين بجمع أقوال النبي ﷺ في التفسير

فقد اعتنى علماء الحديث بجمع ما ورد عن النبي ﷺ من أقوال في تفسير القرآن، وجعلوها باباً من أبواب كتبهم، كباب التفسير مثلاً. ورتّبوا هذه الأقوال على ترتيب السور القرآنية، ومن أمثلة ذلك:

١- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١٠ هـ مطبوع في أربعة أجزاء.

٢- كتاب التفسير في سنن سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ) قال عنه السيوطي: "سعيد ابن منصور له السنن، وفيها باب عظيم في التفسير يجيء نحو مجلد "[(١)].

٣- تفسير عبد بن حميد الكشي ت٢٤٠هـ، طبع منه قطعة.

٤- تفسير ابن المنذر النيسابوري ت٣١٨هـ، طبع جزء منه بتحقيق د. سعد السعد،

---

(١) ينظر بحث: مقدمة الدر المنثور د/ حازم حيدر ص ١١٨، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد، محرم ١٤٢٧هـ

وقد طبع من هذا الباب الذي يذكره السيوطي: فضائل القرآن، وبعض (التفسير) إلى نهاية سورة الرعد بعدد (١١٧٧) مروية من سنن سعيد بن منصور بتحقيق د/ سعد آل حميد في خمسة مجلدات.

ذكرهما الحافظ ابن حجر ضمن التفاسير المسندة[١].

٥- مسند الإمام أحمد، وقد اشتمل على كثير من الروايات من أحاديث الرسول في التفسير ولكنها متفرقة لأنها مرتبة على المسانيد، وقد تبين عددها حينما قام الشيخ محمد بن عبد الرحمن البنا بترتيب المسند على الأبواب في الفتح الرباني، فكان قسم التفسير في مجلد مشتملا وفيه ٥٤٩ رواية. وقد جمع د. حكمت بن بشير ياسين مرويات الإمام أحمد في التفسير في أربعة أجزاء، ونشرته مكتبة المؤيد في الرياض.

٦- كتاب التفسير في صحيح الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ)، فقد جمع فيه ٣٨٠ بابا مرتبا على السور، وذكر فيها ٥٠٣ حديثا[٢].

٧- كتاب التفسير في سنن الإمام الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، وقد ذكر فيه ١٩٥ باباً مرتباً على السور، وذكر فيه ٤٢٠ رواية.

٨- كتاب التفسير في السنن الكبرى للإمام النسائي (ت ٣٠٣هـ)، وقد ذكر فيه ٧٤٠ رواية[٣].

٩- كتاب التفسير في المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، وقد ذكر فيه ١١٢٩ رواية مرتبة حسب السور

١٠- تفسير الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١هـ.

(١) ينظر التفسير الصحيح ١/ ٢٠.

(٢) وهذا العدّ بحسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) وقد طبعه صبري الشافعي وسيد الجليمي بشكل مستقل بعنوان: تفسير النسائي.

وتفسيره ضخم حافل بمئة وعشرين ألف رواية، صرح بهذا الرقم أبو الحسين بن المنادي في تأريخه فيما رواه عنه القاضي أبو الحسين أبو يعلى حيث ذكر عبد الله وصالح ابني الإمام أحمد فقال: كان صالح قليل الكتاب عن أبيه، فأما عبد الله فلم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه أكثر منه لأنه سمع المسند وهو ثلاثون ألفاً، والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفاً سمع منها ثمانين ألفاً والباقي وجادة.. ونقله أيضاً الخطيب البغدادي والذهبي، وأبو موسى المديني في خصائص المسند، وصرح بهذا الرقم ابن الجوزي[(١)].

وإن صنيع هؤلاء الأئمة يكشف عن قدرتهم التفسيرية لكتاب الله في تتبعهم لأحاديث رسول الله ووضعها في مواضعها في تفسير السور وخاصة فيما لم يأت فيه نص من الرسول على تفسير آية بعينها.

المطلب الثاني
عناية المفسرين بالتفسير النبوي

فقد كان للمفسرين عناية بهذا النوع من التفسير لمكانته، فهو أفضل درجات التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن. وتنوعت عنايتهم بذلك قلة أو كثرة كانت بحسب اتجاهاتهم:

أ) **فأصحاب التفسير بالمأثور**، كانوا مكثرين من هذا التفسير؛ لأنه أحد أعمدة التفسير بالمأثور. ومنهم:

١- الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، مع توجيهه واستنباطاته لبعض أنواع التفسير بالسنة من خلال قراءته الواعية والدقيقة والعميقة لنصوص السنة وتنزيلها على الآيات.

(١) ينظر: التفسير الصحيح ١/ ٢١.

٢- ومنهم من اكتفى بسرد ما ورد من النبي ﷺ من أقوال في التفسير أثناء ذكره لما ورد في تفسير الآيات من غير تدخل منه مثل:

٣- تفسير القاضي أبي إسحاق بن إبراهيم بن إسحاق البستي ت٣٠٧هـ، حققه د.عوض العمري، و د. عثمان معلم في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٤- التفسير المسند عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ﵃: الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في تفسيره.

٥- تفسير المعتمد من المنقول فيما أوحي إلى الرسول ﷺ، تأليف بهاء الدين حيدر بن علي بن حيدر القاشي، حققه د. فيصل بن جعفر بالي، د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، طُبع في مجلدين، مكتبة التوبة.

٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي، طُبع عدة طبعات، وأرقى الطبعات بإشراف معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٧- الجوهر المنظوم في التفسير بالمرفوع من كلام سيد المرسلين والمحكوم للعلامة محمد ابن أحمد بن عقيلة ت ١١٥٠هـ، حُقق في عدة جامعات: جامعة طيبة، وجامعة الملك خالد، وجامعة الملك سعود، وناقشت الدكتورة هند بنت إبراهيم التويجري في جامعة طيبة.

ب) **وأما أصحاب التفسير بالرأي**، فهؤلاء ربما لم يكثروا من ذكر ما ورد عن النبي ﷺ من أقوال وأحاديث في التفسير، إلا أن بعضهم استعمل النوع الآخر الأوسع والذي يُعمل فيه رأيه في استنباطاته من السنة ما يصلح أن يكون تفسيراً للقرآن.

المطلب الثالث
عناية المعاصرين بجمع التفسير النبوي

١- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور .

تأليف: الأستاذ الدكتور / حكمت بن بشير ياسين، أستاذ التفسير في الجامعة الإسلامية -سابقا-، وموضوع الكتاب كما قرره في مقدمة الكتاب بقوله ص ٦: "قررت أن اجمع كل ما صح إسناده من التفسير بالمأثور " فهدفه هو جمع ما صح من الراويات عن النبي ﷺ في التفسير، وقد جمع المؤلف في كتابه هذا الأحاديث التي فيها تفسير صريح من النبي للقرآن إضافة إلى الأحاديث التي لا تندرج تحت التفسير مباشرة، وإنما لها علاقة وتتناسب مع الآية المراد تفسيرها -كما ذكر المؤلف في مقدمته ص ٣٢-، طُبع في أربعة أجزاء، دار المآثر، المدينة المنورة.

٢- الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم، للشيخ: أبي محمد السيد إبراهيم بن أبو عمه، أورد مؤلفه فيه كل خبر صح عنده من كلام رسول الله ﷺ يتعلق بشيء من كتاب الله سواء أريد به التفسير أو لم يرد، دون التطرق لفقه التفسير وحكمه وفوائده .

٣- مرشد المفسرين والمحدثين إلى ما ورد من التفاسير المصرح برفعها إلى النبي ﷺ مع مبادئ وكليات تساعد على فهم القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم سليم . وهو كتاب مكون من (١٥٨) صفحة أخرج مؤلفه فيه ما أورده السيوطي في كتابه الإتقان من تفسير النبي ﷺ بعرض حسن وعنون لها وحدد مواضع الآي من سورها، وأضاف إلى ذلك في حاشية الكتاب بيانات لغوية بحتة لبعض ألفاظ الآية الوارد ذكرها .

وختم الكتاب بذكر كليات تساعد على فهم القرآن قالها ابن فارس في كتاب

الأفراد، ونقلها عنه السيوطي في كتابه الإتقان منها: " كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه: الحزن، إلا ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ [الزخرف: ٥٥] فمعناه أغضبونا . وكل ما فيه من ذكر البروج فهي: الكواكب، إلا ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨] فهي القصور الطوال الحصينة " [ص ١٥٢] .

وبهذا يتضح ما احتواه هذا الكتاب من كونه تنظيم وترتيب وحسن إخراج لما ذكره السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الإتقان من الأحاديث المفسرة لشيء من القرآن الكريم، والمبادئ التي نقلها السيوطي عن ابن فارس في كتاب الإفراد .

٤- التفسير النبوي للقرآن الكريم، النصف الأول من القرآن: لعواد بلال العوفي، رسالة ماجستير في عام (١٤٠٢هـ) من الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية .

٥- التفسير النبوي للقرآن الكريم، من أول سورة مريم إلى آخر القرآن: رسالة دكتوراه للباحث نفسه – عواد العوفي - في عام (١٤٠٨هـ) من الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية .

٦- المسند الصحيح من التفسير النبوي للقرآن الكريم: للقاضي برهون، رسالة دكتوراه في عام (١٩٩٧م) من جامعة محمد الخامس، المغرب .

٧- التفسير النبوي، مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح، تأليف: خالد بن عبدالعزيز الباتلي، وهي رسالة علمية نال بها درجة الدكتوراه عام ١٤٢٩هـ، وقد طبعت عام ١٤٣٢هـ، وقد جعل بحثه من قسمين، الأول: الدراسة التأصيلية، وهي مكونة من ثلاثة فصول، الأول وتحدث فيه عن بيان الرسول للقرآن، والفصل الثاني وتحدث فيه عن خطر القول في القرآن بغير علم، والفصل الثالث: عناية المحدثين بعلم التفسير، والقسم الثاني: جمع ودراسة

الأحاديث المرفوعة في التفسير الصريح مرتبة على سور القرآن، وكما يقول الباحث عن هذا القسم أنه: هو مقصود البحث .

٨- التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه: لمحمد إبراهيم عبد الرحمن، كتاب مكون من (٢٩٧) صفحة وهو كتاب اهتم مؤلفه ببيان موقف المفسرين على اختلاف اتجاهاتهم من الاحتجاج بتفسير النبي ﷺ لنصوص القرآن الكريم، ومدى هذا الاحتجاج وكيفيته من تقديم هذا التفسير أو تأخيره أو إهماله، أو ذكره بصورة لا تتلاءم مع أهميته، والقدر الذي احتج به كل مفسر من هذا التفسير النبوي الكريم، بالإضافة إلى الجانب التطبيقي على بعض كتب التفسير على اختلافها، ثم ذيل هذه الدراسة بملحق ذكر جملة من النصوص النبوية الشريفة من كتب الحديث الصحاح في التفسير، اعتنى المؤلف بتخريجها، فلم يتناول التفسير النبوي بالتأصيل والتقعيد.

٩- دور الحديث النبوي في التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي: لصبري متولي، كتاب مكون من (٢٣٤) صفحة، وهو عبارة عن دراسة تطبيقية لدور الحديث وأهميته في التفسير على آيات الحجاب في القرآن الكريم، ولم يتعرض للتفسير النبوي وتأصيله.

١٠- التفسير النبوي، خصائصه ومصادره تأليف د. محمد عبد الرحيم محمد، كتاب مكون من (١٥٠) صفحة، والكتاب مقسم إلى ستة مباحث، تناولت تأملات حول المرويات عن النبي ﷺ استنبطها المؤلف من خلال قراءته لبعض مصادر التفسير النبوي للقرآن الكريم وهي - كما يقول جامعها - تأملات تعد بمثابة مدخل لدراسة هذه المرويات فيما بعد، وهذه التأملات تناولت: مقدار ما فسره النبي ﷺ، ومصادر التفسير النبوي، والوضع على النبي ﷺ في التفسير وبعض سمات التفسير

النبوي وخصائصه، وعناية المفسرين بالتفسير النبوي، وكشاف (فهرس) بالآيات المرفوع تفسيرها إلى النبي ﷺ.

وأراد مصنف هذا الكتاب بمصادر التفسير النبوي: مظانه، وبالسمات والخصائص: أنواعاً متفرقة من التفسير النبوي حيث ذكر المصنف في هذا المبحث: التفسير بالقرآن وبسبب النزول والتفسير الفقهي وغريب القرآن وتبيين المجمل وتوضيح المشكل وتخصيص العام وتقييد العام وتوضيح المبهم والتفسير العقدي والتاريخي والوعظي.

وهي بهذا السرد غير مصنفة ولا مرتبة، وتفتقر إلى التأصيل المصنف المرتب الأكثر شمولاً.

١١- التفسير النبوي للقرآن الكريم: لجاسر أبو صفية، مقال من سبع صفحات في مجلة الوعي الإسلامي، العدد [١٩٩] رجب، ١٤٠١هـ.

١٢- في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم: لمحمد العفيفي، مقالات منشورة في أربعة أعداد من مجلة الوعي الإسلامي، أطول مقال كان في اثنتي عشرة صفحة.

١٣- من الأدب النبوي: التفسير النبوي للقرآن الكريم: لمحمد رجب البيومي، مقال من ثمان صفحات في مجلة الأزهر، العدد [٣] ربيع الآخر، ١٤٠٠هـ.

الفصل الأول
التفسير النبوي في النصف الأول
من كتاب التفسير من سنن الترمذي

هذا فصل تطبيقي على كتاب التفسير من سنن الإمام الترمذي –رحمه الله– استقرأت فيه ما ذكره في هذا الكتاب من التفسير النبوي من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف .

– أي النصف الأول من القرآن – وقد قمت بتحليل متون هذه الأحاديث الشريفة وقسمتها إلى ثلاثة أقسام كما في المباحث الآتية:

المبحث الأول: مصادر التفسير النبوي .

المبحث الثاني: أنواع التفسير النبوي.

المبحث الثالث: منهاج التفسير النبوي للقرآن.

وهذه التقسيمات برزت من خلال قراءة تأمّلية لهذه الأحاديث، ومستظهراً أهم أصول فهم كلام الله من الناحية المنهجية كما سيأتي تفصيله في المباحث الآتية:

المبحث الأول
مصادر التفسير النبوي

اعتمد النبي ﷺ عدة مصادر في تفسيره للقرآن، هذه المصادر هي أعلى قيمة بين مصادر التفسير: القرآن الكريم، الأحاديث القدسية، أقوال ﷺ وأفعاله، وهو بهذا ﷺ يضع المنهج لأمته من بعده في رسم المنهج العلمي في مصادر التفسير.

المطلب الأول
المصدر الأول وهو: القرآن الكريم

فقد اعتمد الرسول القرآن مصدراً أساسياً في تفسير القرآن .

ومن أمثلة ذلك: تفسيره المشهور للظلم الوارد في سورة الأنعام آية (٨٢) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ بآية أخرى في سورة لقمان

عن عبد الله قال لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شقّ ذلك على المسلمين، فقالوا يا رسول الله: وأينا لا يظلم نفسه، قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]؟

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح[(١)].

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥ / ٢٦٢) برقم ٣٠٦٧ .

ومن أمثلة ذلك: حديث جابر بن عبد الله قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي يقول عند حفصة: "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد . الذين بايعوا تحتها . قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها . فقالت حفصة: "وإن منكم الا واردها "مريم ٧١، فقال النبي: قد قال الله

==

المطلب الثاني: المصدر الثاني: الحديث القدسي .

فيفسر النبي ﷺ الآية معتمداً على الأحاديث القدسية

ومثال ذلك تفسيره ﷺ لقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ – وقوله الحق – إذا همّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها وإذا همّ بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها بمثلها فإن تركها وربما قال لم يعمل بها فاكتبوها له حسنة ثم قرأ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

قال الشيخ الألباني: صحيح(١) .

==

ﷻ: "ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة (٤ / ١٩٤٢) برقم ٢٤٩٦)

فالرسول ﷺ هنا فسر آية الورود على النار، بآية تنجية المؤمنين منها

ومثال آخر:

ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتحُ الغيب خمسٌ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]» (أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٢٧).

فالرسول هنا فسر مفاتح الغيب الواردة في آية الأنعام بآية لقمان .

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٦٥) برقم ٣٠٧٣، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٥٧.

المطلب الثالث

المصدر الثالث: تفسيره بأقواله وأفعاله ﷺ

وهذا هو الغالب على تفسيره ﷺ وهو من الوحي؛ لأن الله قال عنه "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" وغالب الأمثلة المذكورة في كل هذه المباحث تصلح أمثلة لهذا المصدر، فلا حاجة لذكر مثال.

المطلب الرابع

المصدر الرابع المشاهدات

لقد شهد النبي ﷺ مشاهدات عظيمة ومعالم عجيبة كما في قصة الإسراء والمعراج، فقد رأى السماوات السبع كلها رأي العين، ورأى الجنة والنار وما فيهما من العجائب والغرائب، كما في حديث حذيفة بن اليمان: أُتي رسول الله ﷺ بدابة طويل الظهر ممدود هكذا خطوه مد بصره، فما زايلا ظهر البراق حتى رأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع[(١)].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين أُريها النبي ﷺ ليلة أُسريَ به إلى بيت المقدس. قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ هي شجرة الزقوم.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي، باب (ومن سورة بني إسرائيل) حديث رقم ٣١٤٧.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٣٠٢) برقم ٣١٣٤.

كما شهد الأنبياء الثمانية ووصفهم كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: حين أُسري بي لقيت موسى، قال: فنعته، فإذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجل شنوءة. قال: ولقيت عيسى قال: فنعيته، قال: ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام. ورأيت إبراهيم قال: وأنا أشبه ولده به[٣].

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٣٠٠) برقم ٣١٣٠.

المبحث الثاني
أنواع التفسير النبوي للقرآن الكريم

ومن خلال استقراء النصف الأول من كتاب التفسير في سنن الترمذي استطعت أن أرسم هذا التصور لبيان صور التفسير النبوي للقرآن الكريم، وقسمت ذلك لمطالب هي:

المطلب الأول
التفسير الصريح

ومقصودي به: أن يصرح النبي ﷺ بتفسير آية أو جملة أو كلمة .

وتحت هذا المطلب عدة أنواع:

النوع الأول: أن يفسر الرسول ﷺ القرآن ابتداء(*)

وتحت هذا النوع أسلوبان:

الأسلوب الأول: أن يذكر الرسول ﷺ التفسير ثم يذكر الآية .

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي أبي وخليل ربي ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الآية: ٦٨] من سورة آل عمران(١) .

(*) ومن لفت الانتباه لهذا التقسيم الجديد د/ مساعد الطيار في كتابه البديع: فصول في أصول التفسير ص ٢٧ .

(١) ومثال آخر: ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال:
==

حدثنا محمود حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله عن النبي ﷺ مثله ولم يقل فيه عن مسروق.

قال أبو عيسى هذا أصح من حديث أبو الضحى عن مسروق [(١)] .

الأسلوب الثاني: أن يذكر الآية ثم يذكر التفسير .

ومثاله: ما ورد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: "إنكم تتمّون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله هذا حديث حسن". [(٢)] [(٣)] .

==

"يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً. ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: آية ١٠٤]، إلى آخر الآية (أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب: (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم) الآية، حديث رقم (٣٦٢٥) ٨/ ٢٨٦.

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٣) برقم ٢٩٩٥.

(٢) ومثال آخر ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: آية ٦]، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه" أخرجه البخاري في الصحيح، (واللفظ له) كتاب التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ حديث رقم (٤٩٣٨) ٨/ ٦٩٦. ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة، حديث رقم (٢٨٦٢) ٤/ ٢١٩٥.).

(٣) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٦) برقم ٣٠٠١.

النوع الثاني: ما فسَّره النبي ﷺ جوابا لسؤال أو استيضاح من الصحابة

وهذه الصورة تدخل تحت عنوان آخر وهو: بيان إشكال وقع للصحابة في فهم آية. فيلجأون لسؤال النبي عنها. وذلك أن غالب ما سأل عنه الصحابة النبي هو مما أشكل عليهم فهمه

وأسباب هذه الإشكالات عدة أمور، منها:

١- التعارض - في الظاهر - مع بعض قواعد الشريعة.

ومثاله: آية سورة المائدة (١٠٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ فظاهرها يتعارض مع قاعدة تبليغ هذا الدين وأنه مسئولية جميع المسلمين؛ ولذا استشكلها الصحابة فسألوا عنها النبي فبيّنها لهم .

عن أبي أُمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال أيّة آية ؟ قلت: قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول ﷺ، فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهنّ مثل القبض على الجمر، للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قال عبد الله بن المبارك وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

قال الشيخ الألباني: ضعيف لكن بعضه صحيح [(١)] .

٢ـ ذكر الآية لأمر غيبي.

وهذا أيضاً من أسباب سؤالات الصحابة للنبي، وسبب الإشكال فيه واضح ؛لأنها من الأمور المغيبة التي ليس في مقدور البشر معرفتها بغير الوحي .

ومثاله: ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] سئل عنها؟ قال: هي الشفاعة.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن و داود الزغافري، هو داود الأودي بن يزيد بن عبد الله – وهو عم عبد الله بن إدريس–.

قال الشيخ الألباني: صحيح [(٢)] .

٣ـ تطبيق ظاهر الآية فيه مشقة.

ومثال ذلك: ما حصل لهم من خوف من فهمهم لقوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[النساء: ١٢٣].

فقد خافوا من هذه الآية وما يترتب عليها من حساب؛ لأن منطوقها يبيّن أن الإنسان يحاسب على كل ما يعمل، فبين لهم الرسول أن الحكم المستنبط من الآية صحيح، لكن هناك نصوص أخر تخفف من الحكم المترتب عليها .

عن أبي هريرة قال: لما نزل ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ شقّ ذلك على المسلمين فشكوا

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٥٧) برقم ٣٠٥٨ صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٤٨.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣) برقم ٣١٣٧، صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٨.

ذلك إلى النبي ﷺ فقال: "قاربوا وسددوا وفي كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها أو النكبة ينكبها. "

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب [(١)] [(٢)] .

ومثال آخر: ما ورد عن أمية أنها سألت عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] وعن قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فقالت: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ، فقال: هذه معاتبة الله العبد فيما يصيبه من الحمى والنكبة، حتى البضاعة يضعها في كم قميصه فيفقدها فيفزع لها، حتى إن العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة [(٣)] .

(١) ومثال آخر: ما أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾... الآية، الأنعام: آية ٨٢ قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بشرك. أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: آية ١٣].

أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ حديث رقم (٤٦٢٩) ٨/ ٢٤٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (١٩٧) ١/ ١١٤.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٤٧) برقم ٣٠٣٨.

(٣) سنن الترمذي (٥ / ٢٢١) برقم٢٩٩١.

٤ـ وجود الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى.

ومثاله: الإشكال الذي وقع لأحد الصحابة- وهو عدي بن حاتم- في فهم المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود هل هو المتبادر إلى الذهن من الخيوط المعروفة أو هو أمر آخر، وذلك لتطبيق حكم متى يبدأ الصيام المستفاد من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن الصوم فقال: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ قال: فأخذت عقالين، أحدهما أبيض، والآخر أسود، فجعلت أنظر إليهما، فقال لي رسول الله ﷺ شيئا لم يحفظه سفيان، قال: إنما هو الليل والنهار".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح [(١)].

٥ـ وجود القيد الذي تحمله الآية في تطبيق حكم.

ومثاله: الإشكال الذي حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في ربط حكم قصر الصلاة في السفر بالخوف وهل هذا قيد أو وصف حال ؟

عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب إنما قال الله: ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ [النساء: ١٠١] وقد أَمِن الناس، فقال عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (الألباني: صحيح)[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢١١) .

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٤٢) برقم ٣٠٣٤، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٣٠.

٦ـ احتمال معنى جديد لم يكن معروفاً عند الصحابة.

وذلك أن الألفاظ من دلالتها اللغوية معروفة عند الصحابة ؛لأن القرآن نزل بلغتهم، ولكن هذه الألفاظ اكتسبت بعداً جديداً في معناها، وهو دلالتها على معاني شرعية .

ومن أمثلة ذلك: تفسير كلمة البشرى في سياق قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٦٤] فدلالة البشرى في اللغة العربية معروفة، لكنها في هذا السياق لم يعلم الصحابة بمدلولها، وذلك أن يراد بها معنى جديد هنا غير المعنى العام للبشرى، وهو الرؤيا الصالحة .

عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال: ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت فهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له.

حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء فذكر نحوه

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ نحوه وليس فيه عن عطاء بن يسار

قال: وفي الباب عن عبادة بن الصامت [١] .

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٦) برقم ٣١٠٦.

النوع الثالث: الترجيح بين أقوال الصحابة عند اختلافهم في فهم آية.

وذلك أن رسول الله يقوم بتفسير الآية عند اختلاف الصحابة في فهمها مرجحاً أحد الأقوال .

ومثاله: ما ورد عن أبي سعيد الخدري أنه قال: تمارى رجلان في المسجد" الذي أسس على التقوى من أول يوم" فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "هو مسجدي هذا".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عمران بن أبي أنس وقد روي هذا عن أبي سعيد من غير هذا الوجه ورواه أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه.

قال الشيخ الألباني: صحيح

وقد جاء تفصيل أكثر لهذا الخلاف في رواية أحمد

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اختلف رجلان، أو امتريا. رجل من بني خدرة، ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى. فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ. وقال العمري: هو مسجد قباء. فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: "هو هذا المسجد". لمسجد رسول الله ﷺ... الحديث [(١)] [(٢)] .

(١) رواه أحمد في مسنده: ٣/ ٢٣، والترمذي في السنن، أبواب الصلاة، باب: (ما جاء في المسجد الذي أُسس على التقوى) حديث رقم (٣٢٣) ٢/ ١٤٤، وينظر: صحيح الترمذي، حديث رقم (٢٦٦) ١/ ١٠٣.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣٠٩٩، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٥.

المطلب الثاني
التفسير النبوي غير الصريح

وهو أن يذكر رسول الله في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً الآية.

وهذا النوع من التفسير – هو تفسير نبوي – ؛ لأن كل ما قاله رسول الله ﷺ هو بيان للقرآن الكريم كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤](١).

والمراد بهذا الوجه أو الصورة: أن يرد في كلامه ﷺ ما يصلح أن تفسّر به الآية، مع أن الآية لم يرد لها ذكر في حديثه ﷺ.

وهو بهذا التعريف ينبغي أن يدخل تحت التفسير النبوي، وأما إدراجه تحت نوع التفسير بالسنة فهو أمر اصطلاحي يمكن أن يصح، لكنه من حيث المفهوم الأشمل هو في المحصلة النهائية تفسير نبوي، إلا أنه ليس تفسيراً نبوياً صريحاً.

ومثاله ما ورد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ".

---

(١) وهذا النوع وهو التفسير النبوي غير الصريح يمكن للناظر في السنة بتأمل أن ينزل بعض الأحاديث على بعض الآيات لبيان أو تأكيد معناها أو شرح غامض، أو تقييد مطلق، أو تخصيص عام أو غيرها من دلالات الألفاظ . وهذا نوع من التفسير لنظر المفسر واجتهاده تعلق فيه، حيث إن المفسر قد يقف على بعض الأحاديث فيحمل الآية عليها. وكلما كان المفسر أكثر عمقاً في فهمه للقرآن وإحاطته بالسنة كلما كان اجتهاده أكثر في توظيف أحاديث الرسول في تفسير القرآن.
وهذا الوجه يعتمد على استنباطات الصحابة والتابعين والمفسرين وتطبيقاتهم على أقوال النبي ﷺ.
ويندرج تحت هذا أنواع متعددة، تحتاج إلى استقراء أحاديث النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته لاستنباط ما يصلح أن يكون تفسيراً للقرآن، وما أكثر هذا، وهو باب بكر لا يزال مجالاً واسعاً للبحث والدراسة.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن [(١)][(٢)] .

فهذا الحديث يصلح أن يكون تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [سورة البقرة] فهذا الحديث تأكيد لمعنى الآية؟.

وقد يرد في كلامه ﷺ إشارات تصلح أن تكون تفسيراً للآية بذكر تفاصيل لبعض الأحداث التي وردت

ومثال ذلك: هذا الحديث الذي جاء فيه وصف للبراق الذي أسري به النبي ﷺ وهذا فيه تفصيل لما جاءت الإشارة إليه في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ [الإسراء: ١][(٣)] .

عن أنس: أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به ملجماً مسرجاً فاستصعب عليه

(١) ومثال آخر: حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه. إلا مريم وابنها". ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦] (أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ حديث رقم (٤٥٤٨) ٨/ ٢١٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل. حديث رقم (٢٣٦٦) ٤/ ١٨٣٨).
فقد ربط أبو هريرة بين الآية وبين الحديث. حيث جعل الحديث مبيناً للمراد بالإعاذة في الآية لمريم وذريتها.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢١٤) برقم ٢٩٧٦.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٣٠١) برقم ٣١٣١.

فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، قال: فارفض عرقاً"

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق

قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد [١] .

(١) سنن الترمذي (٥ / ٣٠١) برقم ٣١٣١، صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٣.

الفصل الثاني
منهاج النبي ﷺ في التفسير

المبحث الأول
بيانه ﷺ معنى لفظة أو تركيب أو آية

من أهم ضروب منهاج النبي ﷺ في التفسير بيانه لألفاظه وتراكيبه .

ومن أمثلة بيانه للمفردات، بيانه لمعنى كلمة "**مشهوداً**":

عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] قال: "تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار".

قال: هذا حديث حسن صحيح [(١)] .

ومن أمثلة بيانه لتركيب:

بيانه ﷺ لقوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ في آية سورة الحجر فكلمة "سبع" معروفة، وكلمة "المثاني" معروفة عند العرب، لكن هذا المركب الإضافي ليس معروفا عند من نزلت فيهم .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني "

(١) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٢) برقم ٣١٣٥.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

قال الشيخ الألباني: صحيح [(١)] .

ومثال بيانه لآية:

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فقد أفاض رسول الله ﷺ في شرحها

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إن للشيطان لَمّة بابن آدم، وللملك لَمّة، فأما لَمّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لَمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص [(٢)] .

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٧) برقم ٣١٢٤، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٨.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢١٩) برقم ٢٩٨٨.

المبحث الثاني
تعيين المبهـم

ومن أمثلته:

بيانه ﷺ للمسجد المقصود في قوله تعالى ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾.

عن أبي سعيد الخدري أنه قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم؟ فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "هو مسجدي هذا "

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عمران بن أبي أنس وقد روي هذا عن أبي سعيد من غير هذا الوجه ورواه أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه.

قال الشيخ الألباني: صحيح [(١)] .

ومثال آخر: تعيينه ﷺ من هم الرجال المقصودين في قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة: ١٠٨].

- عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ قال: "كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم "
- قال هذا حديث غريب من هذا الوجه

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣٠٩٩، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٥.

- قال وفي الباب عن أبي أيوب و أنس بن مالك و محمد بن عبد الله بن سلام
- قال الشيخ الألباني: صحيح [(١)] .

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣١٠٠، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٦.

المبحث الثالث
التفسير بالمثال

فيفسر الرسول ﷺ الآية بذكره مثالاً لها .

وهذا تفسير للآية ببعض أفرادها سواء بذكر مثال قولي أو تطبيق عملي .

ومثال تفسيره ﷺ بالمثال :

ما جاء في تفسيره ﷺ للفوز في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فقد ذكر مثالا من أمثلة ما يفوز به المسلم في الجنة .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها، اقرءوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (الألباني: حسن)[(١)].

ومثال تفسيره بمثال تطبيقي لبيان معنى الآية:

ما فعله رسول الله –حينما دخل الكعبة –تطبيقاً لمعنى هذه الآية "قل جاء الحق وزهق الباطل " وهو يتلوها، ولاشك أن هذا مثال تطبيقي لمعنى الآية، لأن الآية واسعة الدلالة .

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٣٢) برقم ٣٠١٣، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤١١.

عن ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل النبي ﷺ يطعنها بمخصرة في يده - وربما قال بعود- ويقول ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عمر .

قال الشيخ الألباني: صحيح[(١)].

(١) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣) برقم ٣١٣٨، صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٩.

المبحث الرابع
بيان من نزلت فيه الآية

ومثاله: ما ورد عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال: "كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم"

قال هذا حديث غريب من هذا الوجه

قال وفي الباب عن أبي أيوب و أنس بن مالك و محمد بن عبد الله بن سلام

قال الشيخ الألباني: صحيح [(١)] .

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣١٠٠، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٦.

المبحث الخامس
أن يذكر الرسول ﷺ معنى زائداً على ما في الآية

ومثاله: ما وردعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] قال: وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام فأني يستجاب لذلك؟"

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

فقد ذكر رسول الله هنا معنى زائداً على ما في الآية، إذ معنى الآية يدل على وجوب أكل الطيبات وهو يشمل الحلال، والرسول ذكر هذا المعنى في تفسيره للآية، وزاد عليه ما يتعلق بهذا الأمر فيما يخص موانع إجابة الدعاء، وهي أكل الحرام، وشربه، ولبسه . فالتفسير النبوي هنا زاد في تفصيل موانع الإجابة وبيان أثر الالتزام بهذا التوجيه[1].

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٠) برقم ٢٩٨٩.

المبحث السادس
أن يذكر رسول الله في كلامه ما يؤكد معنى الآية

ومثاله: ما ورد عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي أبي وخليل ربي، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ٦٨][1].

- ومثال آخر: ما ورد عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: "سمعت علياً يقول: إني كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا، نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر- وصدق أبو بكر- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي، ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[آل عمران: ١٣٥] إلى آخر الآية[2].

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٣) برقم ٢٩٩٥.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٨) برقم ٣٠٠٦.

المبحث السابع
أن يذكر سبب نزول آية

ومثال ذلك: ما ورد عن أنس قال: كانت اليهود إذا حاضت امرأة منهن لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت فسئل النبي ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فأمرهم رسول الله ﷺ أن يواكلهنّ ويشاربوهنّ، وأن يكونوا معهن في البيوت، وأن يفعلوا كل شيء ما خلا النكاح. فقالت اليهود: ما يريد أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه قال: فجاء عباد بن بشر و أسيد بن حضير إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه بذلك وقالا: يا رسول الله أفلا ننكحهن في المحيض؟ فتمعّر وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد غضب عليهما فقاما فاستقبلتهما هدية من لبن فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهما فسقاهما فعلما أنه لم يغضب عليهما.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢١٤) برقم ٢٩٧٧.

المبحث الثامن
تفسير الآية بتطبيقها

وذلك من أوجه التفسير العملية، فيقوم الرسول بعمل تطبيقي يكون تفسيراً للآية.

ومثاله ما ورد عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله

حدثنا نصر بن علي حدثنا مسلم بن إبراهيم بهذا الإسناد نحوه

قال أبو عيسى هذا حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال كان النبي ﷺ يحرس ولم يذكروا فيه عن عائشة

قال الشيخ الألباني: حسن[(١)] .

عن ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل النبي ﷺ يطعنها بمخصرة في يده- وربما قال بعود- ويقول ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩].

قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عمر .

قال الشيخ الألباني: صحيح [(١)] .

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٥١) برقم ٣٠٤٦، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٤٠.

المبحث التاسع
تصحيح مفهوم أو بيان إشكال

مثال بيان إشكال :

قد يبين الرسول إشكال تعارض الآية في الظاهر مع الواقع ومثاله حديث عمر ﵁.

عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥] سألت رسول الله ﷺ فقلت يا نبي الله فعلى ما نعمل؟ على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه ؟ قال بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبد الملك بن عمرو .

قال الشيخ الألباني: صحيح[٢].

فعمر هنا استشكل معنى هذه الآية الدال على أن البشر قد فرغ من مصيرهم فما فائدة العمل كما قال ﵁ لشيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام ؟

- **أو لبيان المغيبات:**

ومثاله: ما ورد عن أبي سعيد: عن النبي ﷺ في قول الله ﷿ ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾[الأنعام: ١٥٨] قال: "طلوع الشمس من مغربها".

==

(١) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣)برقم ٣١٣٨، صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٩.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٩) برقم ٣١١١، صحيح سنن الألباني رقم٢٤٨٦.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه

قال الشيخ الألباني: صحيح[(١)].

عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال ثلاث إذا خرجن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح و أبو حازم هو الأشجعي الكوفي واسمه سلمان مولى عزة الأشجعية.

قال الشيخ الألباني: صحيح[(٢)].

ومثال آخر: بيان المراد بالمقام المحمود في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] سئل عنها؟ قال: "هي الشفاعة".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن وداود الزغافري هو داود الأودي بن يزيد بن عبد الله وهو عم عبد الله بن إدريس

قال الشيخ الألباني: صحيح[(٣)].

ومن أمثلته: بيان المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

عن صهيب: عن النبي ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٦٤) برقم ٣٠٧١، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٥٥.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٦٤) برقم ٣٠٧٢، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٥٦.

(٣) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣)برقم ٣١٣٧، صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٨.

٢٦] قال: "إذا دخل أهل الجنة نادى مناد إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا: ألم تبيض وجوهنا وتنجينا من النار وتدخلنا الجنة ؟ قال فيكشف الحجاب قال فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ".

قال أبو عيسى: حديث حماد بن سلمة هكذا روى غير واحد عن حماد بن سلمة مرفوعا وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله: ولم يذكر فيه عن صهيب عن النبي ﷺ

قال الشيخ الألباني: صحيح[(١)] .

عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[التوبة: ١٠٨] قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم

قال هذا حديث غريب من هذا الوجه

قال وفي الباب عن أبي أيوب و أنس بن مالك و محمد بن عبد الله بن سلام .

قال الشيخ الألباني: صحيح[(٢)] .

عن البراء: عن النبي ﷺ في قول الله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[إبراهيم: ٢٧] قال: "في القبر إذا قيل له من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟"

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢٨٦) برقم ٣١٠٥، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٨١.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٨٠) برقم ٣١٠٠، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٦.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

قال الشيخ الألباني: صحيح[(١)].

عن مسروق قال: تلت عائشة هذه الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قالت يا رسول الله فأين يكون الناس؟ قال على الصراط قال هذا حديث حسن صحيح.

وروي من غير هذا الوجه عن عائشة.

قال الشيخ الألباني: صحيح[(٢)].

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٥) برقم ٣١٢٠، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٥.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٦) برقم ٣١٢١، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٦.

المبحث العاشر
بيان أمور مما لم يكن معروفاً دلالتها

فكلمة "البشرى" معروف معناها في لغة العرب، لكن المراد بها في هذه الآية مما يخفى على الصحابة فسألوا عنه.

عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٦٤] قال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال: ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت فهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له.

حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ نحوه وليس فيه عن عطاء بن يسار.

قال: وفي الباب عن عبادة بن الصامت[(١)].

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٦) برقم ٣١٠٦.

المبحث الحادي عشر
حل إشكال أو قضية وقعت لأحد الصحابة

عن أبي هريرة قال: لما نزل ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] شقّ ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: "قاربوا وسددوا، وفي كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها أو النكبة ينكبها".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

قال الشيخ الألباني: صحيح [(١)] .

فالرسول في تفسيره لهذه الآية أزال الإشكال الذي فهمه الصحابة من الشرط والجزاء الذي دلت عليه الآية بأن الإنسان محاسب على مايعمله، فذكر أنه يرفع ذلك ما يصيب الإنسان من مصائب حتى ولو كانت صغيرة.

عن أبي بكر الصديق قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه هذه الآية ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٣] فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فأقرأنيها، فلا أعلم إلا أني قد كنت وجدت انقصاماً في ظهري، فتمطّأت لها، فقال رسول الله ﷺ: ما شأنك يا أبا بكر؟ قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأيّنا لم يعمل سوءاً وإنا لمجزون بما عملنا؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا، حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب. وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة".

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٤٧) برقم ٣٠٣٨، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٣٣.

قال أبو عيسى هذا حديث غريب وفي إسناده مقال موسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد و أحمد بن حنبل ومولى ابن سباع مجهول وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح أيضا وفي الباب عن عائشة.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد[1].

عن علقمة و الأسود عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، وأنا هذا فاقض في ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت على نفسك . فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ شيئا، فانطلق الرجل، فأتبعه رسول الله ﷺ رجلاً فدعاه فتلا عليه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤] إلى آخر الآية، فقال رجل من القوم: هذا له خاصة؟ قال: لا بل للناس كافة".

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وهكذا روى إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن علقمة و الأسود عن عبد الله عن النبي ﷺ نحوه[2].

عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت: إن في البيت تمراً أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له. قال:

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢٤٨) برقم ٣٠٣٩.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٨٩) برقم ٣١١٢.

استر على نفسك وتُبْ ولا تخبر أحداً، فلم أصبر، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: "أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟! حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة حتى ظن أنه من أهل النار؟ قال وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحى الله إليه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾إلى قوله: ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ قال أبو اليسر فأتيته فقرأها علي رسول الله ﷺ فقال أصحابه: يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة ؟ قال: "بل للناس عامة". وهذا حديث حسن صحيح.

قال وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الربيع.

قال وفي الباب عن أبي أمامة و واثلة بن الأسقع و أنس بن مالك.

قال الشيخ الألباني: حسن[(١)] .

عن ابن مسعود: أن رجلا أصاب من امرأة قبلة حرام فأتى النبي ﷺ فسأله عن كفارتها فنزلت: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ فقال الرجل ألي هذه يا رسول الله ؟ فقال: "لك ولمن عمل بها من أمتي".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

قال الشيخ الألباني: صحيح[(٢)] .

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٢) برقم ٣١١٥، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٨٩.

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٢٩١) برقم ٣١١٤، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٨٨.

المبحث الثاني عشر
الإجابة على أسئلة التحدي التي يثيرها أهل الكتاب

كما حصل من اليهود حينما أرادوا تحدي رسول الله بإحراجه بسؤالات عن أمور من المغيبات في الماضي أو في أمور كونية .

عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: "ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: اشكتى عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها قالوا صدقت؟ قال هذا حديث حسن غريب .

قال الشيخ الألباني: صحيح[1].

(١) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٤) برقم ٣١١٧، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٢.

المبحث الثالث عشر
ذكر التفسير دون ذكر الآية

وبذلك يصلح الحديث لتفسير عدة آيات كما في بيان الحشر في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم، قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذين أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[(١)].

فقد ورد ذكر الحشر في عشرات الآيات، وكذلك ذكر جهنم والنار، فقد ورد ذكره في مئات الآيات، وقد بينها حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سلّ السيف على أمتي، أو قال: على أمة محمد.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول[(٢)].

(١) سنن الترمذي (٥/ ٣٠٥) برقم ٣١٤٢.
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٩٧) برقم ٣١٢٣.

المبحث الرابع عشر
بيان سبب القصة

وهذا المنهج فريد من نوعه كما في حديث ابن عباس:

أن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب بني إسرائيل ليس بموسى صاحب الخضر قال كذب عدو الله سمعت أبي بن كعب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول قام موسى خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب فكيف لي به؟ فقال له: احمل حوتا في مكتمل فحيث تفقد الحوت فهو ثمَّ، فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون ويقال يوسع، فجعل موسى حوتاً في مكتل فانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرقد موسى وفتاه فاضطرب الحوت في المكتل حتى خرج من المكتل فسقط في البحر، قال وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق، وكان للحوت سرباً وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، ونسي صاحب موسى أن يخبره فلما أصبح موسى ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢] قال: ولم ينصب حتى جاوز المكان الذي أمر فيه ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قال موسى ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قال: فكانا يقصان آثارهما قال سفيان يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة ولا يصيب ماؤها ميتا إلا عاش قال وكان الحوت قد أكل منه فلما قطر عليه الماء عاش قال فقصا آثارهما حتى أتيا الصخرة فرأى رجلاً مسجى عليه بثوب، فسلم

عليه موسى فقال أنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم قال يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه فقال موسى ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ قال له الخضر ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ قال نعم فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلماه أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل وإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله قال له موسى ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ قال وهذه أشد من الأولى ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [يقول مائل] فقال الخضر بيده هكذا ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ ف ﴿ قَالَ ﴾ له موسى قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ قال رسول الله ﷺ يرحم الله موسى لوددنا أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال و قال رسول الله ﷺ

الأولى كان من موسى نسيان، قال وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر، فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر. قال سعيد بن جبير وكان يعني ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ وقد رواه أبو إسحاق الهمداني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ[(١)].

قال أبو عيسى سمعت أبا مزاحم السمرقندي يقول سمعت علي بن المديني يقول حججت حجة وليس لي همة إلا أن أسمع من سفيان يذكر في هذا الحديث الخبر حتى سمعته يقول حدثنا عمرو بن دينار وقد كنت سمعت هذا من سفيان من قبل ذلك ولم يذكر فيه الخبر

قال الشيخ الألباني: صحيح

فهذا الحديث يبين لنا سبب ذهاب موسى إلى مجمع البحرين ولم يذكر ذلك في القرآن الكريم وإنما في السنة النبوية[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٩) برقم ٣١٤٩.

(٢) أفدت هذا المصدر من فضيلة أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين. في محاضرة له بعنوان: الاستنباطات المبتكرة من معجزة الإسراء والمعراج، محاضرة في جامعة الملك عبدالعزيز بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٤٣١هـ

إن هذه المنهجية النبوية كان لها الأثر العظيم في تفاسير الصحابة والتابعين فهم الذين رووا هذه الأحاديث واستفادوا من ذلك المنهج وقاسوا عليه وتفاسيرهم حافلة بذلك.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فإن التفسير النبوي بقيمته العالية من حيث مصدريته فهو يعتمد على الأصل الثاني في الشريعة ألا وهي: السنة النبوية، فقد وقفت في بحثي هذا في دراستي لكتاب التفسير من سنن الإمام الترمذي على معالم هامة في التفسير النبوي من حيث أنواعه، ومصادره، والمنهاج النبوي في التفسير وأوجه التفسير النبوي، مما يؤكد أهمية العناية بهذا المصدر من مصادر التفسير، لقيمته العالية فهو يعتمد على الأصل الثاني من أصول الشريعة .

وهذه الدراسة التطبيقية يمكن أن نخرج منها بعدة نتائج، من أهمها:

١- أهمية التفسير النبوي كمصدر أصيل يجب أن يكون أمام أعين أي مفسر لكلام الله قبل أن يخوض فيها برأي أو اجتهاد.

٢- أهمية استقراء دواوين السنة النبوية للخروج بأمرين هامين هما:

أولاً: تفسير النبي للقرآن، وهذا على كل الأنواع التي ذكرناها، وخاصة التفسير النبوي غير الصريح، فهذا مجال لا يزال يحتاج إلى دراسات ودراسات متعددة، وهو مجال خصب للبحث بشكل مشاريع موسوعية تجرد كتب السنة وتستقرأها، للخروج بتفسير نبوي للقرآن كله وسيكون هذا التفسير عالي القيمة، وهو المشروع يحتاج إلى أمرين: الاستقراء الحاصر، والمكنة العلمية للمستقرئ لأصول التفسير واستحضاره واستظهاره للقرآن الكريم .

ثانيا: أصول التفسير النبوي من خلال التفسير النبوي للآيات، ولاشك أن هذا سيكون له القيمة العالية لأن النبي أصّل لطريقة التفسير تطبيقا، وهذا التطبيق يحتاج إلى

فهم دقيق واستيعاب لأصول التفسير للخروج بأصول التفسير النبوي.

٣- أن المحدثين الذين جمعوا في دواوينهم التفسير النبوي كالبخاري والترمذي والنسائي يعدون مفسرين من الطراز الأول –إن صح التعبير- وخاصة في التفسير النبوي غير الصريح، وقد ظهر لي هذا في استقرائي لما ذكره الترمذي في كتاب التفسير، بحيث إنه جمع في كل سورة ما يرى أنه يصلح أن يكون تفسيراً لها وإن لم يكن تفسيرا صريحاً، وهذا ملحظ هام محل بحث ودراسة .

فهرس أهم المراجع والمصادر

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢- إعلام الموقعين، لابن القيم، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل- بيروت ١٩٧٣م.

٣- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث – القاهرة.

٤- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، تعليق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٥- التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ. التفسير النبوي، خصائصه ومصادره، د. محمد عبدالرحيم محمد. مكتبة الزهراء، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٦- التفسير النبوي، مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح، خالد الباتلي، دار كنوز أشبيليا – الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.

٧- تفسير النسائي، تحقيق: صبري الشافعي، وسمير الجليمي. مكتبة السنّة- القاهرة- ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: د/ عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي. تحقيق د/ عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

١٠- الجوهر المنظوم في التفسير بالمرفوع من كلام سيد المرسلين والمحكوم للعلامة محمد بن عقيلة (رسالة دكتوراه) دراسة وتحقيق: د. هند بنت إبراهيم التويجري، إشراف أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، ١٤٢٩هـ.

١١- دقائق التفسير، ابن تيمية.

١٢- دور الحديث النبوي في التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي، صبري المتولي.

١٣- الرسالة، الشافعي. تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

١٤- سنن الترمذي، الإمام الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر دار احياء التراث العربي، بيروت

١٥- سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د. سعد آل حميد، دراسة وتحقيق: د. سعد بن عبدالله الحميد، دار الصميعي – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٦- صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الثانية ١٤٢١هـ.

١٧- صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام، الرياض، ط الثانية ١٤٢١هـ.

١٨- الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم، أبي محمد السيد إبراهيم بن أبو عمه، دار الصحابة للتراث – مصر، ط١، ١٤١٠هـ.

١٩- صحيح سنن الترمذي، الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الجزء الثالث.

٢٠- فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر، الدولي- الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

٢١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد. ط: المصرية .

٢٢- المستدرك على الصحيحين، الإمام محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٢٣- المعتمد من المنقول فيما أوحي إلى الرسول ﷺ، بهاء الدين حيدر بن علي القاشي، تحقيق: د. فيصل بن جعفر بالي، د. محمد ولد حبيب، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني. طبعة: دار الفكر.

٢٥- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي. شرح عبدالله دراز وآخرين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

المجلات:

٢٦- مجلة الأزهر، العدد (٣)، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ.

٢٧- مجلة البحوث والدراسات الفقهية، تصدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد الأول، محرم ١٤٢٧هـ .

٢٨- مجلة الوعي الإسلامي، العدد (١٩٩)، رجب ١٤٠١هـ.

نسخ القرآن بالسنة

إعداد
أ.د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

وبعد/

فإن مبحث النسخ من المباحث الهامة، وقد تناوله العلماء قديمًا وحديثًا فأفردوا له المؤلفات الخاصة، فألف قتادة بن دعامة السدوسي (١١٧هـ) كتابه: (الناسخ والمنسوخ في كتاب الله)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) كتابه: (الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز)، ومحمد بن حزم (٤٥٦هـ) كتابه: (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم)، وأحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ) كتابه: (الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل).

كما تناوله المؤلفون في علوم القرآن كالزركشي (٧٩٤هـ) في البرهان، والسيوطي (٩١١هـ) في الإتقان.

وكذا تناوله الأصوليون في مؤلفاتهم فإن النسخ من المباحث وثيقة الصلة بعلم أصول الفقه، ولذا تناوله عامة الأصوليون في مصنفاتهم.

كما تناوله المفسرون تأصيلًا وتطبيقًا، أما التأصيل فمن خلال بحث بعض مسائل النسخ كحكم النسخ ووقوع النسخ والحكمة من النسخ، والنسخ إلى بدل وإلى غير بدل، والنسخ إلى الأخف وإلى الأثقل، وأنواع النسخ وأقسامه وغير ذلك من المباحث التأصيلية.

كما تناولوه تطبيقًا عند تفسير الآيات التي قيل بنسخها في القرآن الكريم.

هذا وإن من المسائل المتعلقة بالنسخ : مسألة حكم نسخ القرآن بالسنة.

وقد أحببت أن أتناولها بالعرض والدراسة، وقد كنت كتبت أصل هذا البحث قبل ما يزيد خمس وعشرين سنة، وكان يمنعني من طباعته أني في كل مرة أريد الزيادة عليه والبسط في مباحثه، ولكن هذه الأمنية لم يساعد الوقت عليها فأثرت إخراجه كما هو لعل الله أن ينفع به.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- صلته بالأصلين - الكتاب والسنة -.

٢- تباين وجهات نظر أهل العلم في هذه المسألة بشكل كبير، ما بين مانع لهذا النوع من النسخ وبين مجرٍ له على عدد غير قليل من الآيات.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان أقوال أهل العلم في حكم نسخ القرآن الكريم بالسنة سواء منها المتواترة أو الآحاد، مع بيان القول الراجح بحسب اجتهاد الباحث.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس.

- **المقدمة:** وبينت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطته والمنهج في كتابته.
- **المبحث الأول:** وفيه ثلاث مطالب :

  المطلب الأول: تعريف النسخ.

  المطلب الثاني: مفهوم النسخ عند المتقدمين.

  المطلب الثالث: أقسام النسخ.
- **المبحث الثاني :** حكم نسخ القرآن بالسنة.
- **الخاتمة:** وبينت فيها أهم نتائج البحث.
- **الفهارس:**

  ١- فهرس المراجع.

  ٢- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

أسلك في هذا البحث المنهج المقارن، حيث أجمع أقوال أهل العلم مع أدلتها في مسألة (نسخ القرآن الكريم بالسنة) ثم أقارن بينها حتى أصل إلى القول الأقرب للصواب إن شاء الله.

هذا وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل عملنا صالحاً، ولوجهه خالصاً، وأن يرزقنا فيه السداد، ويهدينا للصواب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

المطلب الأول : تعريف النسخ.

المطلب الثاني : مفهوم النسخ عند المتقدمين.

المطلب الثالث : أقسام النسخ.

المطلب الأول
تعريف النسـخ

في اللغة :

قال في القاموس: "نسخه كمنعه، أزاله وغيَّره وأبطله، وأقام شيئاً مقامه". (١)

وفي اللسان: "والنسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه". (٢)

والنسخ في اللغة يطلق على أمرين :

الأول: نقل الشيء وتحويله من موضع إلى آخر مع بقائه هو في نفسه، كما قال تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩].

الثاني: إزالة الشيء وإبطاله، كما تقول: نسخت الشمس الظل ونسخت الريح الأثر، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ [الحج:٥٢].

(١) القاموس المحيط (ص٣٣٤) (نسخ) .

(٢) لسان العرب (٣/ ٦١) (نسخ) .

قال ابن حزم (٣٢٠هـ) : "النسخ في اللغة موضوع بإزاء معنيين:

أحدهما: الزوال على جهة الانعدام.

والثاني: على جهة الانتقال". [١]

وفي المفردات: "النسخ: إزالة الشيء بشيء يتعقبه كنسخ الشمس الظل والظل الشمس والشيب الشباب". [٢]

النسخ في الاصطلاح:

تنوعت عبارات العلماء – رحمهم الله تعالى – في تعريف النسخ وبيان المراد به، ولن أستقصي تعريفاتهم[٣]، إذ هذا ليس من هدف البحث، لكني أذكر ما أراه أقربها إلى الصواب والله ولي التوفيق.

أما تعريف النسخ في الاصطلاح عند العلماء فهو: رفع حكم دليل شرعي أو لفظه بخطاب شرعي متراخ عنه.

محترزات التعريف:

قولنا: "رفع حكم دليل شرعي" يخرج رفع الحكم العقلي أو البراءة الأصلية [٤]

---

(١) الناسخ والمنسوخ (ص٦) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص٤٩٠) (نسخ) .

(٣) انظر في تعريف النسخ : الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٧)، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٩)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٥٢٥)، المحصول (١/ ٣/ ٤٤٣)، مناهل العرفان (٢/ ٧٢)، أحكام النسخ في الشريعة الإسلامية (ص١٠)، النسخ في القرآن الكريم مصطفى زيد الفقرة ١٢ وما بعدها، أصول الفقه لابن عثيمين (ص٧٧)، المهذب في أصول الفقه (٢/ ٥٣٠) .

(٤) البراءة الأصلية : نفي العدم الأصلي المعلوم، مثل براءة الذمة من التكاليف حتى يقوم الدليل

==

ونحوها، فإن رفعها لا يعد نسخاً ؛ لأن هذه البراءة ونحوها لا تعتبر حكماً شرعياً.

ومثال ذلك : استباحة الناس الخمر في أول الإسلام، فإذا رفعت هذه الاستباحة فإن هذا الرفع لا يعتبر نسخاً، لأن الحكم السابق لم يثبت بدليل شرعي وإنما بالبراءة الأصلية.

قولنا: "أو لفظه" أي لفظ الدليل الشرعي، لأن النسخ إما أن يكون للحكم دون اللفظ أو بالعكس، أو لها جميعاً. [(١)]

قولنا: "بخطاب شرعي" يخرج غير الخطاب الشرعي من العقلي والعرفي والإجماع والقياس ونحو ذلك فإنها غير رافعة ولا ناسخة للحكم، وإنما الذي ينسخ هو الخطاب الشرعي.

قولنا: "متراخ عنه" يخرج ما ليس متراخياً عنه، لأنه يكون في هذه الحالة مقيداً أو مبيناً أو غاية وليس نسخاً.

==

على التكليف بأمر من الأمور .

انظر : روضة الناظر (٢/ ٥٠٤)، الإحكام للآدمي (٤/ ١٢٩)، المسودة (ص٤٨٨) .

(١) أكثر الذين يتعرضون لتعريف النسخ - وغالبهم من الأصوليين - لا يذكرون رفع اللفظ، مع أنهم يذكرونه ضمن أنواع النسخ، وربما كان السبب في ذلك أن مادة الدرس الأصولي هي في تقرير أدلة الأحكام، ولذا كان انصرافهم إلى تقرير ذلك في التعاريف .

ومن الذين رأيتهم نصوا على (نسخ اللفظ) في التعريف المفسر الأصولي العلامة محمد بن عثيمين، ومنه استفدت هذا القيد في التعريف، وقد كان هذا بدلالة من أخي الدكتور: محمد الشايع – حفظه الله – .

المطلب الثاني
مفهوم النسخ عند المتقدمين

كان ما سبق هو الاصطلاح الذي استقر للنسخ عند المتأخرين، أما السلف فقد كان النسخ يطلق عندهم على ما هو أشمل من ذلك، فقد كانوا يطلقونه على تخصيص اللفظ العام وتقييد المطلق وتبيين المجمل، كما كانوا يطلقونه على المعنى الخاص الذي استقر اصطلاحا عند المتأخرين.

وإلى ذلك أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٧٢٨هـ) حيث يقول: "وفصل الخطاب أن لفظ النسخ مجمل، فالسلف كانوا يطلقونه فيما يُظن دلالة الآية عليه من عموم أو إطلاق أو غير ذلك ". أ هـ [١]

ويقول ابن القيم (٧٥١هـ): "مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر تارة أخرى، إما بتخصيص عام أو تقييد مطلق وحمله على المقيد وتفسيره وتبيينه حتى أنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى، وزال عنه إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر".أ.هـ [٢]

ويقول الشاطبي(٧٩٠هـ): "يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين". أهـ [٣]

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/ ١٠١) .

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٣٥) .

(٣) الموافقات في أصول الشريعة (٣/ ١٠٨) .

ولعل من الأمثلة على اتساع مفهوم النسخ عند السلف ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما (٦٨هـ) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦] قال : هو منسوخ بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] [١].

وعن عكرمة (١٠٥هـ) وطاووس (١٠٦هـ) قالا : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ فنسخ من ذلك واستثنى فقال ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ... ﴾ [٢].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى (٢٢٤هـ) : إن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤] منسوخ بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[النور: ٥][٣].

فانظر كيف أطلق هؤلاء السلف رضي الله عنهم ورحمهم النسخ على الاستثناء وهذا يدل على المعنى العام الواسع الذي كانوا يعتمدونه - رحمهم الله - للنسخ. [٤]

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٨٧١) وصححه الألباني في صحيح الأدب برقم (٦٦٨) . وانظر : الدر المنثور (١١/ ٣٢٢).

(٢) رواه ابن جرير (١٧/ ٦٧٩) .

(٣) انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي عبير (ص٥٣) من المقدمة .

(٤) وقد أورد الشاطبي في الموافقات (٣/ ٨١) وما بعدها جملة من الأمثلة والروايات التي تدل على أن السلف - رحمهم الله - كانوا يعتمدون هذا المعنى الواسع للنسخ ويقولون به .

يقول د. مصطفى زيد : "كان الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون من بعدهم يرون أن النسخ هو مطلق التغيير الذي يطرأ على بعض الأحكام، فيرفعها ليحل غيره محلها، أو يخصص ما فيها من عموم أو يقيد ما فيها من إطلاق، سواء أكان النص الناسخ عندهم متصلاً بالنص المنسوخ كما في الاستثناء والتقييد أم كان منفصلاً عنه متأخراً في النزول كما في رفع الحكم السابق كاملاً – وهو النسخ عند جميع الفقهاء والأصوليين – وكما في رفع الحكم عن بعض ما يشمله العام إذا تأخر نزول المخصص ". أ.هـ[(١)]

إذا تقرر هذا تبين لنا خطأ فريقين في هذا الموضع:

الأول: قوم معظمون للسلف، متبعون لأقوالهم، فإذا رأوهم قالوا بالنسخ في بعض المواضع مريدين به التخصيص أو التقييد أو البيان أو غير ذلك تابعوهم على القول بالنسخ ولكنهم حملوه على النسخ في اصطلاح المتأخرين، فذهبوا خلاف ما أراد السلف في معنى النص والمراد به.

الثاني: قوم حكموا على بعض السلف أنهم مسرفون في النسخ، متوسعون في القول به فردوا أقوالهم في تفسير الآيات بل وشنعوا عليهم، والسبب أنهم لم يتبينوا مرادهم، ولم يعرفوا مقصدهم حين قالوا بالنسخ، وإنما حملوهم على الاصطلاح الحادث بعد زمانهم.

(١) النسخ في القرآن الكريم (١/ ٧٩-٨٠) الفقرة (٩٨) .

وانظر : الآيات المنسوخة في القرآن الكريم (ص١٤-١٦) .

المطلب الثالث
أقسام النسخ

النسخ في دورانه بين الكتاب والسنة ينقسم أقساماً أربعة – من حيث وجود الناسخ والمنسوخ في أي منها – وهي :

الأول : نسخ القرآن بالقرآن :

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ...... الآية ﴾ [المجادلة: ١٢].

فقد نسخت بقوله تعالى ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المجادلة: ١٣].

الثاني : نسخ السنة بالسنة :

ومثال ذلك قوله ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنها تذكركم بالآخرة"(١)

الثالث: نسخ السنة بالقرآن:

ومثال ذلك نسخ استقبال بيت المقدس في الصلاة الثابت في السنة بقوله تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ [البقرة:١٤٤].

---

(١) رواه مسلم كتاب الصلاة ٧/ ٤٦ "نووي" .

الرابع : نسخ القرآن بالسنة :

وهذا النوع مختلف فيه بين أهل العلم، وهو موضوع بحثنا هنا.[1]

(١) انظر أقسام النسخ في : المستصفى (١/ ١٢٤)، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، الإحكام لابن حزم (٤/ ٤٧٧)، المحصول (١/ ٤٩٥)، روضة الناظر (١/ ٣٢١)، الجامع لمسائل أصول الفقه (ص ١٥٣- ١٥٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٦٥) .

المبحث الثاني
حكم نسخ القرآن بالسنة

أقوال العلماء في المسألة

اختلف العلماء – رحمهم الله تعالى – في جواز نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية، وبيان اختلافهم كما يلي :

القول الأول: أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة مطلقاً، وهو مذهب الشافعي رحمه الله (٢٠٤هـ) حيث يقول: "وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنة لا ناسخة للكتاب، وإنما هي تابع للكتاب ". أ هـ [(١)]

وهو قول الإمام أحمد رحمه الله (٢٤١هـ) في رواية عنه.[(٢)]

واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٧٢٨هـ).[(٣)]

قال الشاطبي (٧٩٠هـ): "الأحكام إذا ثبتت على المكلف فادعاء النسخ فيها لا يكون إلا بأمر محقق؛ لأن ثبوتها على المكلف أولاً محقق، فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلا بمعلوم محقق، ولذلك أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القرآن ولا الخبر المتواتر ؛ لأنه رفع للمقطوع به بالمظنون ". [(٤)]

(١) الرسالة (ص١٠٦) . وانظر : شرح اللمع للشيرازي (١/ ٥٠١) .

(٢) انظر: التمهيد في أصول الفقه (٢/ ٣٦٩)، روضة الناظر (١/ ٣٢٢)، المسودة (ص٢٠١) .

(٣) انظر: الفتاوى (١٧/ ١٨٤) .

(٤) الموافقات (٣/ ٧٩) وانظر: النسخ في القرآن الكريم، مصطفى زيد (ص٢١٤) وما بعدها .

القول الثاني: أنه يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة فقط، وهذا هو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى (١٥٠هـ).[١]

ورواية عن الإمام أحمد (٢٤١هـ) اختارها أبو الخطاب رحمه الله تعالى (٥١٠هـ)، وهو قول المالكية[٢]، وكثير من الفقهاء والأصوليين[٣]، والمتكلمين من المعتزلة وغيرهم.[٤]

القول الثالث: أنه يجوز نسخ القرآن بالسنة مطلقاً ؛ سواء منها المتواتر أو الآحاد.

وهذا القول رواية عن أحمد ذكرها ابن عقيل في كتابه الواضح[٥] وهو قول أهل الظاهر.[٦]

واختاره الشنقيطي (١٣٩٣هـ)[٧] وابن عثيمين(١٤٢١هـ)[٨] رحمهما الله تعالى.

---

(١) انظر: كشف الأسرار (٣/ ١٨٢)، ناسخ القرآن ومنسوخه لابن البازري (ص٢٠) .

(٢) انظر: إحكام الفصول في أحكام الأصول (ص ٢٤٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

(٣) انظر: المستصفى (١/ ١٢٤)، روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ٣٢٧) (مع العلم أن ابن قدامه يرجح القول الأول)، النسخ لمصطفى زيد(ص٢١٧) .

(٤) انظر: المعتمد لأبي الحسين البصري (١/ ٤٢٤)، والمحصول (١/ ٥١٩)، وشرح المنهاج في علم الأصول (١/ ٤٧٨) .

(٥) انظر: (٢٤٦/ أ) نقلاً عن العدة (٣/ ٧٨٩) .

(٦) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/ ٥٠٥) .

(٧) انظر: مذكرة أصول الفقه (ص٨٦)، الآيات المنسوخة في القرآن الكريم للشنقيطي (ص٣٧) .

(٨) انظر: أصول الفقه (ص٧٩) .

الأدلــة

استدل المانعون – أصحاب القول الأول – بما يلي :

أولاً : قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

والاستدلال بالآية من وجوه:

الأول: أن الله تعالى وعد بأن يأتي بخير من المنسوخ أو مثله، والسنة ليست مثل القرآن فضلاً عن أن تكون خيراً منه.[١]

الثاني: قوله تعالى: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ حيث ذكر سبحانه تفرده بالإتيان، وذلك إنما يصدق على القرآن.[٢]

الثالث: قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ حيث يدل على أن النسخ منه سبحانه لا من غيره.[٣]

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ ﴾ [يونس:١٥].

---

(١) انظر: الرسالة / ١٠٨، روضة الناظر (١/ ٣٢٤)، الإتقان (٤/ ١٤٣٧) .

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ١٥٦)، والمحصول (١/ ٥٢٣) .

(٣) انظر: العدة (٣/ ٧٩٠) .

"فأخبر سبحانه أنه فرض على نبيه اتباع ما يوحى إليه، ولم يجعل له تبديله من تلقاء نفسه".[1]

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] فأسند المحو - سبحانه – والإثبات لنفسه، وهذا يصدق على القرآن الكريم الذي هو كلامه.[2]

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] فالسنة مبينة للقرآن، والمبين لا يكون ناسخاً.[3]

---

(١) الرسالة / ١٠٧ .

(٢) انظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ٥٠٧) .
وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية على أقوال:
فقيل: هو الناسخ والمنسوخ، روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال سعيد بن جبير وقتادة والقرظي وغيرهم .
وقيل: إنه الرزق والأجل والسعادة والشقاوة، وبه قال عمر وابن مسعود ب وأبو وائل والضحاك وغيرهم .
وقيل: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها، وبه قال عكرمة .
وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، روي عن ابن عباس وبه قال الكلبي والفراء .
انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٦)، تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٩)، تفسير البغوي (٤/ ٣٢٥)، زاد المسير(٤/ ٣٣٨) .

(٣) انظر: الإحكام للآمدي (٣/ ١٥٦) .

خامساً: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠١-١٠٢].

فأخبر سبحانه أنه إنما يبدل الآية بالآية الأخرى لا بالسنة، فدل هذا على أن السنة لا تنسخ القرآن.(١)

سادساً: ما روي عن جابر رضي الله عنه (٧٤هـ) قال: قال رسول الله ﷺ "كلامي لا ينسخ كلام الله، وكلام الله ينسخ بعضه بعضاً"(٢)

قالوا: "وهذا نص"(٣) في المسألة فوجب الرجوع إليه.(٤)

سابعاً: أن السنة أضعف من القرآن من وجهين:

الأول: أن القرآن فيه إعجاز، وليست السنة كذلك.

الثاني: أن القرآن في قراءته ثواب وليست السنة كذلك.(٥)

وإذا ثبت أنها أضعف فلا تقوى على نسخه ولا يصح ذلك.

وأما المجيزون، أصحاب القولين الثاني والثالث، فاستدلوا بما يلي:

---

(١) انظر: الرسالة/ ١٠٨ والإحكام لابن حزم (٤/ ٥٠٧).

(٢) يأتي تخريجه قريباً.

(٣) العدة (٣/ ٧٩٤).

(٤) انظر: روضة الناظر (١/ ٣٢٤).

(٥) انظر: العدة (٣/ ٧٩٣).

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣-٤].

فبين أن السنة وحي كما أن الكتاب وحي، والأدلة المثبتة للنسخ إنما فيها اشتراط كون الناسخ وحيا لا شيء آخر.(١)

ثانياً: الوقوع، وهو دليل الجواز وزيادة:

١- نسخ آية الوصية، وهي قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] بقوله ﷺ: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث"(٢).

قال القرطبي(٦٧١هـ): "فنسخ الآية إنما كان بالسنة الثابتة لا بالإرث على الصحيح من أقوال العلماء، ولولا الحديث لأمكن الجمع بين الآيتين... الخ"(٣)

٢- نسخ إباحة كل ذي ناب من السباع ونحوها المنصوص عليها بالحصر الصريح في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِىَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

---

(١) انظر: الإتقان (٤/ ١٤٣٧)، أصول الفقه وابن تيمية (٢/ ٥٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الوصايا (٨/ ٧٢) "عون"، الترمذي في الوصايا (٦/ ٣٠٩) "تحفه" وانظر: الناسخ والمنسوخ للمقري (ص٤٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٦٣).

بالسنة في مثل قوله ﷺ : "كل ذي ناب من السباع فأكله حرام ". [1]

٣- نسخ الحبس والإيذاء الثابت بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ ﴾ [النساء: ١٥-١٦] بقوله ﷺ في حديث عبادة رضي الله عنه (٣٤هـ): "خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم". [2]

وقد أجاب المانعون عن أدلة هؤلاء فقالوا :

أولاً: أما آية الوصية فقد رفعت ونسخت بآية المواريث لا بهذا الحديث، وجاء الحديث بعد ذلك مؤكداً ومبيناً لا مؤسساً للحكم[3]، وقد روي ذلك عن ابن عمر (٧٣هـ) وأبي موسى (٤٢هـ) وسعيد بن المسيب (٩٤هـ) والحسن (١١٠هـ) ومجاهد (١٠٤هـ) وعطاء (١١٤هـ) وسعيد بن جبير (٩٥هـ) وغيرهم.[4]

ثانياً: وأما قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ** ....

(١) رواه مسلم، كتاب الصيد، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع (رقم ١٩٣٣) .
وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٦٤)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١١٦)، مذكرة أصول الفقه (ص٨٦)، الآيات المنسوخة في القرآن الكريم (ص٣٩) .

(٢) رواه مسلم في الحدود (١١/ ١٨٨) "نووي" .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، روضة الناظر (١/ ٣٢٥) .

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢/ ٦٩)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٨) .

الآية ﴾ وقوله ﷺ: "كل ذي ناب من السباع فأكله حرام "فليس هذا من النسخ، بل هو زيادة حكم من الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ، ونظيره تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها مع قوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤][(١)].

أو هو من قبيل التخصيص، وتخصيص المتواتر بالآحاد لا مانع منه. [(٢)]

ثالثاً: وأما آية الحبس والإيذاء فليس فيها نسخ، وإنما فيها الأمر بالإمساك إلى الغاية، وهي حتى يجعل الله لهن سبيلاً، وليس ذلك بنسخ. [(٣)]

وعلى فرض نسخها فهي منسوخة بآية قد نسخ لفظها وبقي حكمها، وهي ما ثبت عن عمر رضي الله عنه (٢٣هـ) أنه قال: "كان فيما أنزل آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده". [(٤)]

القول الراجح ومناقشة الأدلة

لعل القول الراجح - والله أعلم - القول بجواز نسخ القرآن بالسنة قال القرطبي (٦٧١هـ): "وحذاق الأئمة على أن القرآن ينسخ بالسنة وهو ظاهر مسائل مالك (١٧٩هـ)، وأبى ذلك الشافعي أبو الفرج المالكي(٣٣٠هـ)، والأول أصح، بدليل أن الكل حكم الله تعالى ومن عنده وإن اختلفت في الأسماء"[(٥)]، وأما أدلة المانعين فيجاب عنها بما يلي :

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٦٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١١٦) .

(٢) انظر : الآيات المنسوخة في القرآن الكريم (ص٤٠) .

(٣) انظر: روضة الناظر ٣/ ٣٢٥.

(٤) رواه البخاري كتاب الحدود ١٢/ ١٤٤"فتح"، ومسلم في الحدود ١١/ ١٩١"نووي".

(٥) انظر: أصول الفقه وابن تيمية ٢/ ٥٤٧.

الدليل الأول:

الوجه الأول: أن قصر الخيرية على اللفظ فقط هو من التحكم، بل الخيرية عامة فقد تكون في اللفظ، وقد تكون في غيره كالأصلح في التكليف أو الأنفع في الثواب أو الأخف في الحكم أو الأكمل في التشريع، وهي كلها خيرية داخلة في الآية.(1)

قال ابن عباس رضي الله عنهما (٦٨هـ): "﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ يقول : خير لكم في المنفعة وأرفق بكم".(2)

وقال قتادة (١١٧هـ): "﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ يقول : آية فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهي".(3)

وأما الوجه الثاني والثالث فيقال: بأننا لا ننازع بأن الناسخ جاء من الله تعالى، وهو وحي، ولكنه على لسان رسول الله ﷺ وهو السنة وهو داخل في اللفظ، ومن ادعى عدم دخوله فعليه الدليل، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤].(4)

الدليل الثاني: وهو احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ ...... الآية ﴾ [يونس:١٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٦٥).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص، المحصول (١/ ٥٢٧) .

(٣) رواه ابن جرير (٢/ ٣٩٩) .

(٤) رواه ابن جرير (الموضع السابق) .

فأجاب عنه ابن حزم رحمه الله تعالى (٣٢٠هـ) فقال: "وهذا لا حجة فيه ؛ لأننا لم نقل أن رسول الله ﷺ بدله من تلقاء نفسه، وقائل هذا كافر، وإنما نقول: إنه عليه السلام بدله بوحي من عند الله تعالى، كما قال آمراً له أن يقول: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام:٥٠] فصح بهذا أيضاً جواز نسخ الوحي بالوحي، والسنة وحي فجائز نسخ القرآن بالسنة والسنة بالقرآن". أ هـ.(١)

وقال إمام الحرمين رحمه الله تعالى (٤٧٨هـ) في معرض الرد على من استدل بهذه الآية: "قيل لهم: هذه الآية بأن تكون دليلا عليكم أولى، فإنه ﷺ يبين أنه لا ينسخ القرآن من تلقاء نفسه، وإنما متبع للوحي فدل ذلك على غير ما تعتقده نفياً وإثباتاً فإنا نقول : لا يقول ﷺ في إثبات الشرائع من تلقاء نفسه وإنما يقول ما يقول عن الله مبلغاً ما ثبت من أوامره لديه وحياً، فبطل استرواحهم إلى هذه الآية". أ هـ.(٢)

الدليل الثالث: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ ... الآية ﴾ [الرعد: ٣٩].

فيجاب عنه: بأن هذا لا وجه له ؛ لأننا جميعاً نقول بأن الناسخ هو الله تعالى، وهو الآمر لرسوله ﷺ المنزل له ذلك، فهو سبحانه الذي يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا خلاف في ذلك، والناسخ قد يكون قرآناً أو يكون سنة إذ هي وحي منزل من الله تعالى.

---

(١) انظر: المحصول (١/ ٥٢٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

(٢) الإحكام لابن حزم (٤/ ٥٠٥)، وراجع : المحصول (١/ ٥٢٨) .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى (٣٢٠هـ) : "وهذه الآية حجة لنا عليهم في أنه تعالى يمحو ما يشاء بما شاء على العموم، ويدخل في ذلك السنة والقرآن ". أ هـ.(١)

الدليل الرابع: وأما قولهم إن السنة مبينة لا ناسخة استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

فيجاب عنه : بأن البيان بالمفهوم الشرعي الوارد في النصوص يشمل النسخ إذ هو معنى عام يشمل كل بيان من تخصيص وتقييد وتوضيح ونسخ وتفسير ونحو ذلك.

أما إن أرادوا بالبيان(٢) المعنى الاصطلاحي الذي هو قسيم الإجمال فهذه محاكمة للنصوص بالاصطلاح الحادث فلا يسلم ذلك.

الدليل الخامس: وأما قولهم إن الآية لا تبدل إلا بآية لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ...... ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢].

فقد قال ابن حزم رحمه الله تعالى (٣٢٠هـ) : "وهذا لا حجة لهم فيه ؛ لأنه لم يقل تعالى : إني لا أبدل آية إلا مكان آية، وإنما قال لنا : إنه يبدل آية مكان آية. ونحن لم ننكر ذلك بل أثبتناه، وقلنا : إنه يبدل آية ويفعل أيضاً غير ذلك وهو تبديل وحي غير متلو مكان آية ببراهين أخرى ". أ هـ. (٣)

---

(١) التلخيص (٢/ ٨٩٤) .

(٢) الإحكام لابن حزم (٤/ ٥٠٧) .

(٣) المجمل: ما احتمل أمرين لامزيه لأحدهما على الآخر . كالألفاظ المشتركة مثل العين ونحوها .
المبين : الدليل الذي يتوصل به إلى إخراج الشيء من الإشكال إلى الوضوح .
ولهما تعاريف أخرى . انظر: الروضة (٢/ ٥٧٠ وَ٥٨٠) .

الدليل السادس: وأما حديث جابر ﷺ فلا تقوم بمثله حجة فقد حكم عليه الإمام الذهبي رحمه الله (٧٤٨هـ) بالوضع، لأن فيه محمد بن داود القنطري (٢٥٨هـ)[(١)] وهو هالك، قال رحمه الله في الميزان: " تفرد به القنطري وبالذي قبله، وهما موضوعان ". أ. هـ.[(٢)]

وفيه أيضاً جبرون بن واقد الأفريقي[(٣)] قال عنه الذهبي (٧٤٨هـ): "متهم".[(٤)]

قال في الكامل عن هذا الحديث: "إنه حديث منكر".[(٥)]

الدليل السابع : أما قولهم إن السنة أضعف من القرآن.. الخ فيجاب عنه : بأننا لا نتنازع في أفضلية القرآن على السنة، وأنه مقدم لهذه الوجوه وغيرها، ولكن هذه الوجوه غير مؤثرة في النزاع، وكون السنة أضعف لهذه الوجوه لا يمنع العمل بها ونسخ الكتاب بها ما دامت وحياً، فهذا الاحتجاج خارج محل النزاع.

ثم إنها وإن كانت فارقته في هذه الوجوه إلا أنهما يستويان في أنهما جميعاً من الله تعالى، وفي وجوب الطاعة لها جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾

---

(١) الإحكام لابن حزم (٤/ ٥٠٧).

(٢) محمد بن داوود القنطري، روى عنه آدم بن أبي إياس وجبرون بن واقد، وعنه : القاسم بن زكريا وابن صاعد، توفي عام ٢٥٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٤٠)، لسان الميزان (٥/ ١٦١).

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١/ ٣٨٨).

(٤) جبرون بن واقد الافريقي، أبو عباد، من أهل المغرب، روى عن مخلد بن حسين وابن عيينة، روى عنه محمد بن داوود وغيره.
انظر: الكامل (٢/ ١٨٠)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٨٧).

(٥) الميزان (١/ ٣٨٧).

[النساء: ٨٠] وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩] وغير ذلك. [(١)]

الرد على اعتراضات المانعين على الأدلة

وبهذه الإجابات يتبين لنا رجحان القول بجواز نسخ القرآن بالسنة، وأما إجابة المانعين عن أدلة المجيزين فهي كما يلي:

أما جوابهم عن آية الوصية وأن الناسخ لها إنما هو آية المواريث والحديث إنما هو مبين للناسخ وليس ناسخاً، فالحق أن كل فريق يتجاذب المسألة إلى صفه، ولم يتبين لي - حسب علمي القاصر - فيها شيء، فهي محتملة.

أقصد أنه من المحتمل أن تكون آية المواريث هي الناسخة وأن الرسول ﷺ أكد الحكم وفسره وزاده وضوحاً وبياناً.

كما أنه من المحتمل أن تكون آية المواريث لم تتعرض لقضية الوصية مطلقاً، وإنما فيها بيان أنصبة الورثة فلما نزلت الآية بتحديد ذلك جاء نسخ الوصية بحديث الرسول ﷺ.

فالناسخ قد يكون هو آية المواريث بذاتها وقد يكون هو حديث رسول الله ﷺ الذي بت الحكم بعد أن نزلت أنصبة المواريث فقال :"إن الله أعطى كل ذي حق حقه" ثم نسخ ﷺ الحكم السابق في آية الوصية فقال : " فلا وصية لوارث ". [(٢)]

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال(٢/ ١٨٠) .
وانظر: مذكرة أصول الفقه (ص٨٥) .

(٢) انظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ٥٠٦) .

ومثله ما يقال من نسخ قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ .... الآية ﴾ فإنه ليس بصريح بحيث لا يمكن حمله على غير النسخ.

وأما حديث عبادة رضي الله عنه (٣٤هـ) في حد الزنا فهو ظاهر في نسخ آية الحبس والإيذاء والله أعلم.

وأما اعتراضهم على ذلك بأن الآية كانت مغيأة فلا يصح، لأن الحكم المغيأ كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] يختلف عن محل النزاع فتلك عبادة مستمرة متكررة محددة بوقت معين ثابتة والحكم فيها باقٍ، أما آية الحبس الإيذاء فقد أفادت حكماً يعمل به حتى يأتي ما ينسخه ويغيره، واستمر العمل بالآية ولم يرفع حتى جاء الحديث عن الرسول ﷺ فغيَّر الحكم وبدله فلا يعمل بها الآن، فدلَّ على أن الناسخ هو الحديث.

نفرق بين غايتين؛ غاية مع بقاء أصل الحكم، وغاية تُزيل الحكم وترفعه فالأولى ليست نسخاً لأنها أبقت الحكم الأول ولكن بنيت نهايته وغايته والأخرى نسخ لأنها رفعت الحكم وأزالته فلم يعد معمولاً به.

ثم "لو سلمنا ما قيل من أنه غاية أليس النسخ: هو رفع الحكم الشرعي الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه، و أليس الحكم الأول في الآية واجباً العمل به ما لم يأت ما يرفعه، وإذا جاء نص يرفعه ويزيله وجب المصير إليه وترك الأول، وإذا كان الأمر كذلك فإن حكم الحبس والأذى قد رُفع وأزيل بنص قول الرسول ﷺ "خذوا عني خذوا عني.. الحديث"(١) فأنتم تسمونه غاية ونحن نسميه نسخاً والحقيقة واحدة".(٢)

---

(١) سبق تخريجه ص ١٦ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧ .

وأما قولهم أن الناسخ له آية نسخ لفظها فإن هذا تهرب عن النسخ بالسنة ليس له داع، وذلك لأن حديث عبادة (٣٤هـ) صريح في النسخ، وقد قال ﷺ في صدره: "خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا" فلو لم يكن النسخ قد ورد بهذا الحديث لم يكن لهذه الجملة فائدة ولكانت لغواً وكلام الرسول ﷺ منزه عن اللغو.

وبهذا يتضح أن آية الحبس والإيذاء قد نسخها حديث عبادة رضي الله عنه (٣٤هـ) وهذا هو الصحيح والله أعلم، وبه يتبين جواز نسخ القرآن بالسنة ووقوعه وأن هذا لا يعارض الأدلة ولا يقدح في قدسية القرآن.

وقد قال إمام الحرمين (٤٧٨هـ): "إذا سلمت جوازه - أي جواز نسخ القرآن بالسنة - وأورد عليك ما ظاهره نسخ القرآن بالسنة فينبغي أن لا تحمله على الوجوه البعيدة". أ هـ.[(١)]

هل يشترط التواتر في الناسخ؟

إذا ترجح لدينا جواز نسخ القرآن بالسنة فيبقى الخلاف بعد ذلك بين أصحاب القولين الثاني والثالث، أي هل يشترط في الناسخ من السنة التواتر أم أنه لا فرق بين المتواتر والآحاد؟ منع من ذلك جماعات من أهل العلم، وحجتهم في ذلك أن القرآن الكريم قطعي، والآحاد ظني، والظني لا ينسخ القطعي.[(٢)]

والصحيح والله أعلم: أنه لا فرق بين المتواتر والآحاد؛ لأن الجميع وحي ثبت عن الرسول ﷺ بطريق صحيح فوجب العمل به والمصير إليه.

(١) أصول الفقه وابن تيمية (٢/ ٥٤٩).

(٢) التلخيص (٢/ ٨٩٥).

"والتواتر شيء زائد على الثبوت، ومادام الأمران مشتركين في الصحة المطلقة فما المانع من رفع أحدهما الآخر".[1]

والعمل بخبر الواحد أصل عظيم قال به الأئمة المحققون من علماء الأمة[2]، وليس مع من فرق بين المتواتر والآحاد في الفروع أو الاعتقاد دليل قاطع يجب المصير إليه، وقد تظاهرت الدلائل الشرعية على وجوب العمل به والانقياد لحكمه.

قال الإمام البخاري (٢٥٦هـ) في صحيحه: "كتاب أخبار الآحاد. باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الآذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام. وقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية. وقوله تعالى: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾. وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحد فإن سها أحد منهم رُدَّ إلى السنة". أ هـ.[3]

قال ابن حجر(٨٥٢هـ): "وقد شاع فاشياً عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير فاقتضى الاتفاق منهم على القبول". أ هـ.[4]

---

(١) انظر: الموافقات (٣/ ٧٩) .

(٢) الآيات المنسوخة في القرآن الكريم (ص٤١) .

(٣) راجع المسودة في أصول الفقه (٢/ ٥٥٦) .

(٤) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد (١٣/ ٢٣١) (فتح الباري) .

قال ابن قدامه رحمه الله تعالى (٦٢٠هـ) في الاستدلال على قبول خبر الواحد:

"ولنا دليلان قاطعان :

أحدهما: إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على قبول، فإنه قد اشتهر ذلك عنهم في وقائع لا تنحصر، إن لم يتواتر آحادها حصل العلم بمجموعها. ثم أخذ في سرد الوقائع عنهم في قبول خبر الواحد.

ثم قال: الدليل الثاني:

ما تواتر من إنفاذ رسول الله ﷺ أمراءه ورسله وقضاته وسعاته إلى الأطراف لتبليغ الأحكام والقضاء وأخذ الصدقات وتبليغ الرسالة، ومن المعلوم أنه كان يجب عليهم تلقي ذلك بالقبول ليكون مفيداً، والنبي ﷺ مأمور بتبليغ الرسالة ولم يكن ليبلغها بمن لا يكتفي به "[(١)].

وقال الشنقيطي (١٣٩٣هـ): "التحقيق الذي لا شك فيه هو جواز وقوع نسخ المتواتر بالآحاد الصحيحة الثابت تأخرها عنه، والدليل: الوقوع.

أما قولهم أن المتواتر أقوى من الآحاد، والأقوى لا يُرفع بما هو دونه فإنهم قد غلطوا غلطاً عظيماً مع كثرتهم وعلمهم، وإيضاح ذلك : أنه لا تعارض البتة بين خبرين مختلفي التاريخ لإمكان صدق كل منهما في وقته، وقد أجمع جميع النظار أنه لا يلزم التناقض بين القضيتين إلا إذا اتحد زمنها، أما إن اختلفا فيجوز صدق كل منهما في وقتها، فلو قلت : النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس. وقلت أيضاً : لم يصل إلى بيت

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٣٤).

المقدس، وعنيت بالأولى ما قبل النسخ وبالثانية ما بعده لكانت كل منهما صادقة في وقتها ". أ هـ.[1]

وبهذا يتبين لنا أن خبر الواحد إذا صح جاز أن ينسخ القرآن إذا اكتملت الشروط اللازمة للنسخ. والله أعلم وهو سبحانه الهادي إلى الصواب.

(١) روضة الناظر (١/ ٣٧٠).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد/

فقبل ختام هذا البحث يحسن أن أذكر أبرز المعالم التي ورد فيه على سبيل الإجمال فأقول وبالله التوفيق :

١- أهمية مباحث النسخ، وعظيم الحاجة إلى تحرير مسائله.

٢- الفرق بين مفهوم النسخ عند السلف، ومفهوم النسخ عند من جاء بعدهم.

٣- اختلف العلماء - رحمهم الله - في حكم نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية على أقوال عدة:

الأول : عدم نسخ القرآن بالسنة مطلقاً.

الثاني : جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة فقط.

الثالث : جواز نسخ القرآن بالسنة مطلقاً.

٤- الذي يظهر - والله أعلم- جواز نسخ القرآن الكريم بالسنة مطلقاً؛ المتواترة والآحاد.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المرجع

١- أحكام الفصول في أحكام الأصول. أبو الوليد الباجي ت : عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ط. الأولى ١٤٠٧هـ.

٢- أحكام القرآن. أبو بكر الجصاص، ت: عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- أحكام القرآن. أبو بكر بن العربي، ت : علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.

٤- أحكام النسخ في الشريعة الإسلامية. محمد وفا، دار الطباعة المحمدية. ١٤٠٤هـ.

٥- أصول الفقه وابن تيمية. صالح بن عبد العزيز المنصور، ط. الثانية ١٤٠٥هـ.

٦- أعلام الموقعين عن رب العالمين. ابن قيم الجوزية، راجعه : طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل ١٩٧٣م.

٧- الإتقان في علم القرآن. جلال الدين السيوطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٨- الإحكام في أصول الأحكام. ابن حزم الأندلسي، مراجعة: لجنة بإشراف الناشر. دار الحديث. القاهرة ط. الثانية ١٤١٣هـ.

٩- الإحكام في أصول الأحكام. علي بن محمد الآمدي، تعليق : عبد الرزاق عفيفي. المكتب الإسلامي ط. الثانية ١٤٠٢هـ.

١٠- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه. مكي بن أبي طالب، ت: أحمد حسن فرحات، ط الثانية، دار المنار، جدة، ١٤٠٦هـ.

١١- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار. أبو بكر محمد بن موسى الحازمي، ت: عبدالمعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي ط. الثانية ١٤١٠هـ.

١٢- الآيات المنسوخة في القرآن الكريم. عبدالله بن محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٣- تفسير القرآن العظيم. عماد الدين إسماعيل بن كثير، ت : مقبل بن هادي الوادعي، دار الأرقم، الكويت الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤- التمهيد في أصول الفقه. أبو الخطاب الكلوذاني، تحقيق : مفيد أبو عمشه، دار المدني، ط. الأولى ١٤٠٦ هـ.

١٥- تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط. الأولى ١٣٢٧ هـ.

١٦- جامع البيان في تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة ١٤٠٣هـ.

١٧- الجامع لأحكام القرآن القرآن. أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨- الجامع لمسائل أصول الفقه. عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٢٠ هـ.

١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي، ت : عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٢٠- الرسالة. محمد بن إدريس الشافعي، ت : محمد أحمد شاكر.

٢١- روضة الناظر وجنة المناظر. موفق الدين بن قدامه المقدسي، ت : عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض ط. الثانية ١٤١٤هـ.

٢٢- زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.

٢٣- سنن أبي داوود "عون" الإمام أبو داوود السجستاني، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط الثانية ١٣٨٩ هـ.

٢٤- سنن الترمذي "تحفة" أبو عيسى الترمذي، دار الذكر، ط. الثانية ١٣٩٩هـ، حققه وراجع أصوله : عبد الرحمن محمد عثمان.

٢٥- شرح الكوكب المنير. ابن النجار الحنبلي، ت : محمد الزحيلي، نزيه حماد، دار الذكر الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٦- شرح المنهاج للبيضاوي في أصول الفقه. محمود بن عبد الصمد الأصفهاني، ت : عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض ط. الأولى ١٤١٠هـ.

٢٧- صحيح البخاري "فتح الباري" محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت، توزيع مكتبة الباز مكة المكرمة.

٢٨- صحيح سنن ابن ماجه. محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧ هـ- ط. الأولى.

٢٩- صحيح مسلم "النووي". مسلم بن حجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.

٣٠- العدة في أصول الفقه. القاضي أبو يعلي الفراء الحنبلي، ت: أحمد سير مباركي. مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٣١- القاموس المحيط. الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، الرسالة، ط الثانية ١٤٠٧هـ.
٣٢- الكامل في ضعفاء الرجال. أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، ط الثالثة ١٤٠٩هـ.
٣٣- كتاب التلخيص. إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني ت : عبد الله جولم النيبالي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى شعبة أصول الفقه "الجامعة الإسلامية" المدينة المنورة عام ١٤٠٧هـ.
٣٤- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. علاء الدين البخاري، دار الكتاب العربي ١٣٩٤هـ.
٣٥- لسان العرب. جمال الدين منظور الأفريقي، دار صادر.
٣٦- لسان الميزان. ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، مصر، الأولى.
٣٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع : عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
٣٨- المحصول في أصول الفقه. فخر الدين الرازي، ت : طه جابر العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط. الأولى ١٣٩٩هـ.
٣٩- مذكرة أصول الفقه. محمد الأمين الشنقيطي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
٤٠- المستصفى في أصول الفقه. محمد بن محمد الغزالي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤١- المسودة في أصول الفقه. آل تيمية، جمع: أحمد بن محمد بن عبد الغني الحراثي ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني.

٤٢- المصفى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ. ابن الجوزي، ت: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٣- مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني، ت : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٤٤- مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية.

٤٥- الموافقات في أصول الشريعة. أبو إسحاق الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١١هـ.

٤٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. شمس الدين الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة.

٤٧- ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه. هبة الله ابن البارزي، ت: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط الرابعة ١٤٠٨هـ.

٤٨- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز. أبو عبد القاسم بن سلام، ت: محمد المديفر، مكتبة الرشيد، الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.

٤٩- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم. ابن حزم، ت : عبدالغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٥٠- الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل. هبة الله بن سلامة المقري، ت: حاتم زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

المحتويات

القسم الثاني

البحوث المهداة للأستاذ الدكتور: فهد بن عبدالرحمن الرومي

